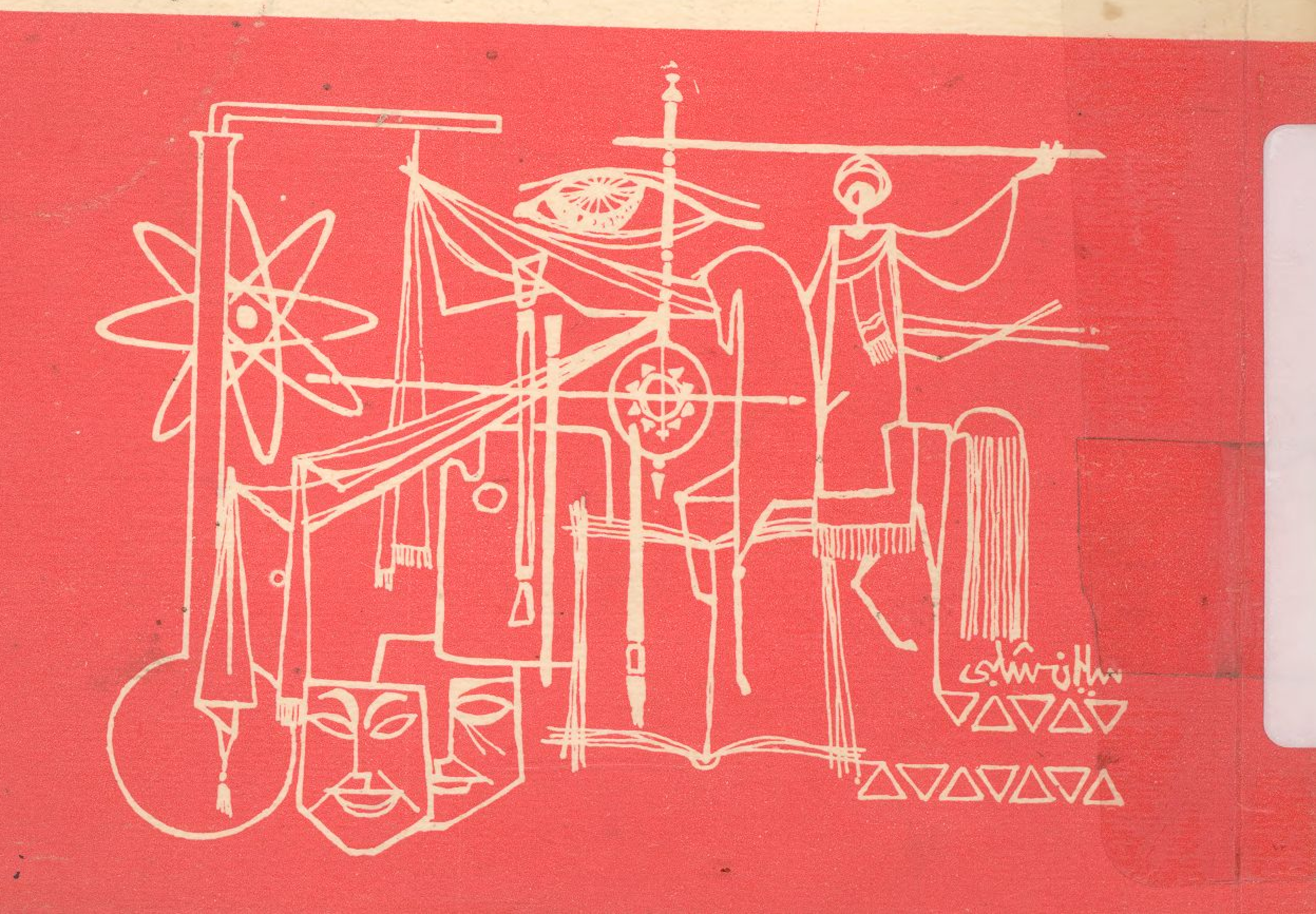
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

المكتبة الثقافية
العدد ٢٤٤

الحرب مع إسرائيل
مقدمات ونتائج

فتحي رضوان



المكتبة الثقافية
٢٤٤

الحرب مع إسرائيل
مقدمات ونتائج

فتحى رضوان

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
١٩٧٠

تمهيد

لقد شبع التاريخ الانسانى ، وارتوى • شبع حتى التخمة ، وارتوى حتى الثمالة ، من الفواجع والمآسى ، ولكن لعل هـذا التاريخ نفسـه ، لا يعرف فاجعة كفاجعة ميلاد اسرائيل ، قبحا وتحديا لكل ما آمن به الانسان وحارب فى سبيله وضحى من أجله ، من مثل ومبادىء •

لسنا نقول هذا مبالغة منا ، أو تعصبا لبلادنا ، وانما نقوله ، بنفس هادئة وقلم لا ترتعشه حمى الكراهية ، فهذا الذى قررناه ، هو عين مايقرره العالم الوقور الرصين •

فقد شهد التـاريخ تمزيق دول • ومن أقرب هـذه المجـازر ، المجزرة التى ابتلعت فيهـا ثلاث امبراطوريات ، دولة بولندا مثلا فى القرن الثامن عشر ، اذ استولت روسيا على جانب ، وبروسيا على جانب ثان ، وابتلعت النمسـا البقية الباقية ، واختفت بولندا من خريطة العالم •

كذلك ابتلعت ثلاث دول أوربية دولة افريقية صغيرة فى القرن التاسع عشر هى الصومال ، اذ استأثرت بريطانيا بصومال ، وفرنسا بصومال ثان ، وايطاليا بصومال ثالث،

فأصبح بدل الوطن الصومالى الواحد المتحد ، ثلاث صوماليات البريطاني والفرنسي والايطالى .

والتاريخ شهد زحف التتار بقيادة أبطالهم الدمويين جنكيز خان ، وهولاكو وتيمور لنك ، ورأى كيف تتهاوى أمام هذا الاعصار البشرى ، العروش ، وكيف تسقط التيجان ، وكيف تباد الأمم وتحرق المدن ، وتهلك الحضارات .

ورأى التاريخ غزو الصليبيين للشرق العربى ، ومعارك بلغت فيها الدماء الركب ، حقا لامجازا وخاض فيها حملة الصليب ، والمنتسبون اليه كذبا ، والمتجرون به علنا ، أوحال وأقذار السياسة والدسائس .

ولكن كل هذا يهون الى جانب ماحدث فى ٢٩ من نوفمبر سنة ١٩٤٧ حينما صدر قرار الأمم المتحدة فى نيويورك بتقسيم فلسطين .

فقد كانت كل هذه الجرائم البشعة المروعة جرائم ملوك قياصرة ، جرائم طغاة وسافكى دماء وهاتكى أعراض ، جرائم أرجال من الجراد البشرى الذى لم يكمل تحضره وتهذيبه بعد .

وكان العزاء دائما فى هذه الفواجع الدامية ، أن الضمير الانسانى لم يكف عن استبشاعها ولعنها ، ولا عن التطلع الى فجر يوم جديد ، يقوم فيه نظام يمنع هذه الجرائم ، ويحول بين مرتكبيها وبين التورط فيها ، ثم تجسد

الأمل المرموق فيما عرفناه باسم « الأمم المتحدة » • وقد كان أبعد شيء عن خيال الناس ان تكون « الأمم المتحدة » ذاتها امتدادا لعهد القرصنة والسطو على حقوق الأمم ، واباحة حرمات الأفراد والشعوب • كانت (الأمم المتحدة) قصيدة جميلة ، نظمتها الشعوب بدماء المئات من ملايين الشباب ، أزهقت أرواحهم في ميادين القتال ، وآلاف الملايين من الجنيهات هلكت في صورة مدن تخربت وتحف بادت ، وثروات حطمت وعقول مفكرة شلت ، وآثار علمية اختفت تحت ركام وأطلال الخرائب •

ولكن هذه (الأمم المتحدة) بدأت حياتها بتقسيم فلسطين على خلاف أول مبدأ من مبادئها الأساسية ، مبدأ حق تقرير المصير ، ومؤداه ألا تقوم حكومة على أرض لتسود شعبا الا برضاه وموافقته وانتخابه • فكان مطلع القصيدة (كفرا) • حقا انه كان كفرا صراحا• وسترون أنه لم ينفع فى رد هذا الكفر ، ومنع التمادى فيه صراخ بعض الأصوات المحايدة ، التى رأت أن ماستقدم عليه هذه المنظمة العالمية ، أمل الشعوب ورجاؤها ، سيكون طعنة ، لا فى صدر فلسطين ولا فى قلب العرب ، بل فى قلب وصدر المنظمة ذاتها ، وثقة الانسان بنفسه وبالمبادىء التى يعلنها قادته ، وزعماؤه ومفكروه •

ولم يكن صدور هذا القرار من الأمم المتحدة ، شبيها بزحف التتار ولا بعدوان القياصرة والأباطرة والأكاسرة ،

فهؤلاء كانوا يفتكون بالفريسة ، كما يفعل الوحش بالحيوان الضعيف أو الصغير نزولا على وحى الغريزة ، وائتمارا بأمرها • أما قرار الأمم المتحدة ، فجر الانسانية وعقلها التى يقف وراءها جيش من العلماء والفقهاء ورجال القانون والاجتماع والعلوم الطبيعية والعلوم الانسانية والاقتصاديين والساسة ورجال الحرب والدين ، فجريمة لا سبيل الى وصفها ولا الى وصف الألم الذى تقذف به الى قلوب الناس، فى كل مكان •

وقد أوشكت الجريمة أن تختفى دمامتها وقبحها ، لضعف الأمة العربية ابان صدور قرار التقسيم ، وبعده • فقد كانت أمة على الورق ، اذ اجتمعت عليها أدواء فاتكة لا حصر لها . كانت مقسمة ، وهو داء كفيل وحده بافناء أقوى الشعوب ، وما من امبراطورية عظيمة ، كامبراطورية الفرس أو اليونان أو الاغريق أو مصر الفرعونية أو الدولة العربية فى المشرق أو فى المغرب كتب لها الفناء والتمزق الا وكان المرض الذى قتلت به هو الاختلاف والتفرق •

وكانت الأمة العربية الى جانب تفرقها ، لاتزال تعيش جماعات كبيرة منها فى العصور الوسطى ، بل أحيانا فى عصور الجاهلية تخلفا فى المعرفة ، وايمانا بالمخلفات ، وعجزا عن التقدم وخوفا منه ، وعبادة مفرطة للآلهة • آلهة من البشر ، وآلهة من الحلوى والعجوة وآلهة من الذهب والفضة •

وقد انتهز مرتكبو الجريمة هذه الفرصة الذهبية ،

وأسبغوا على جريمتهم النكراء أستارا فوق أستار ، لحجبها، وتجميلها ، واسباغ الشرعية عليها ، تارة باسم النزول على الواقع ، وأخرى باسم « ينشغل كل منا بهمومه الخاصة فهى وحدها تكفيه » وثالثة اتكالا على الزمن الذى هو فى خدمتنا وضد أعدائنا ٠

بوحى هذا كله ، واحتجاجا عليه ، ورفضا له ، كتبت هذه الصفحات ، التى قد يقع القارىء الكريم فيها على شىء من التاريخ ، وشىء من التحليل السياسى ، ولكنها فى واقع الأمر ليست دراسة تاريخية ، ولا مساهمة سياسية فى مواجهة المشكلة الكريهة النكراء التى تسمى (اسرائيل) بقدر ما هو محاولة لتحديد نطاق المعركة بيننا وبين اسرائيل، بأقل قدر ممكن من الألفاظ ، وبأقل نصيب جائز من التفريع على الأصل ٠ ذلك لأنى أعتقد أنه لن يقوى المقاتلين فى ميادين الحرب أو الفكر ، شىء أكثر من أن يعرفوا بالضبط لماذا يقاتلون عدوهم ، وفى أى الميادين ستجرى المعركة ، وبأى الأسلحة سيقاتلون ٠

لقد انتصر المسيحيون الأوائل ، والمسلمون الأوائل ، وكل دعاة فكر جديد لأنهم استطاعوا أن يصوغوا شعار المعركة فى حكمة أو كلمات قليلة : كان شعار المسيحيين الأوائل : « أحبوا أعداءكم » ٠ أو « قاتلوا الشر ولا تؤذوا الشرير » وكان شعار المسلمين : « لا اله الا الله » أو « الله اكبر » . والمطلوب أن يكون لنا شعار موجز فى حرب

اسرائيل ، ولا أعتقد أن هناك شعارا أليق وأصدق من : « لنحرر وطننا » .

ولكن هذه الشعارات الموجزة ، المصوغة فى كلمات قليلة غاية القلة هى أشق ماواجه الانسان منذ كان الانسان على وجه هـــذه الأرض . « فلا اله الا الله » على الرغم من بساطتها ووضوحها اقتضت الانسانية أجيالا بعد أجيال لتفهمها وتدرك معناها ثم تؤمن بهـا . « وأحبـوا أعداءكم باركوا لاعنيكم » لم يفهمها أحد بعد ، لم يؤمن بها الا حفنة من البشر ، ولكن على قلة المؤمنين بالشعارين والعاملين بهما، فقد استطاعت هذه القلة ، أن تغير وجه التاريخ ، وأن تفجر فى النفس الانسانية من القوى التى كانت محبوسة ما لاقبل لأحد بوصفه أو الاحاطة به .

« فتحرير الوطن » وان كانا لفظين واضحين بسيطين، الا أنهما فى العالم العربى أو على الأقل كانا غامضين أشـــد الغموض ، فقد توالت على هذا الوطن من الكوارث والمصائب، ما أفسد الذوق وعطل العقل وعقل القلب ، فلابد من جهد شاق ، وسعى متصل ، وعمل مدروس ، وخطة طويلة الأمد، لتعود الأمور الطبيعية الى نصابها الأصيل فتبدو طبيعية وغير شاذة ، وليصبح ممكنا أن نتفق على أن « واحد زائد واحد، يساوى اثنين » ، وأن الشمس تشرق من المشرق وتغرب فى المغرب ، وهذه الرسالة الصغيرة ، هى محاولة لتحقيق هذا الهدف البسيط والطبيعى . وانى لأرجو القارىء

الكريم أن يتناولها فى هذا الضوء ، وأن يحكم عليها بهـذا المعيـــار .

ولست أريد أن أسبق الأمور ، فأتحدث هنا ، عن « التحرير » وماذا يكون ولا عن « الوطن » وماذا هو .

وشيء آخر تهدف اليه هذه الرسالة وان كان تبعـا للهدف الأول يأتى فى ركابه ، ويتحقق فى تضاعيفه . هو أن « نتزن » فلا ننتقل من المبالغة فى تحقيرنا من اسرائيل ، وتصور اننا قادرون على «فقعها» ، كما «يفقع» الواحد منا دملا صغيرا فى أصبعه ، الى التهويل من شأنها وشأن القوى التى خلقتها والتى تسيطر فى الواقع أو تحاول أن تسيطر ـ على الأقل ـ على مقدرات هذا العالم فترسم للسياسة فيه والاقتصاد الخطط ، وتفرضها بالقـــوة السافرة حينا ، وبالقوة المستترة المستخفية أحيـــانا ـ فنعتبر اسرائيل ، قدرا محتوما لا فرار منه ، ولا نفع فى مقاومته، وأن العقل يأمر بالتسليم به ، والاذعان له .

وفى مجال الحديث عن (الاتزان) وتقدير كل شيء بقدره ، يصبح القول ذا سعة ، ولكن يكفى دائما ـ وخصوصا فى رسالة صغيرة ـ أن نضع رءوس الموضوعات مع قليل من التفسير ، لتتولى الدراسات المستـفيضة مزيدا من الشرح والتعليق المؤيد بالأرقام والتـــواريخ ، والاحصــــائيات والجداول .

ولكن لا أحب أن أدع القلم هنا ، حتى أقرر حقيقـة يجب أن تبقى ساطعة مشرقة فى هذه الظلمات المتكاثفة التى أحـدقت (بشرقنا العربي) منـــذ كانت أزمة يونية سنة

١٩٦٧ . وهى أن الحكمة المأثورة (رب ضارة نافعة) التى أورثنـا اياها الأجـداد لا تكاد تنطبق على موقف انسـانى انطباقها على حالة العرب بعد هزيمة يونية ١٩٦٧ ، فان هذه الهزيمة المنكرة اقتحمت قدرا غير قليل من الأماكن المحرمة ، وداست بقدمها على غير قليل من الأوهام المقدسة ، وفتحت غير قليل من الأبواب المغلقة . لقد وضعت الانسان فى هذه المنطقة ـ منطقة الحضارات والثقافات والأديان ـ أمام نفسه وجها لوجه ، ودعته أن يعيد النظر فى كل شىء .. فى السياسة والاقتصاد والاجتماع والحرب . فى الماضى والحاضر والمستقبل . فيما تم ، وفيما لم يتم . فى الأسلوب والمنهج، فى الخطة والتنفيـذ . فى القيود والحـريات . فى الأفكار والمعتقدات . ولا شىء ينفع الأمم مثل هذه المراجعة . وهى مراجعة لا يمكن أن تتم تطوعا ، فان لأسلوب الحياة اليومية منطقا يختلف كل الاختلاف عن منطق التوقف والمراجعة ، والمقابلة والمقارنة ، والأخذ والعطاء ، والمناقشة والجدل . ولابد من قارعة ، لابد من كارثة ، لكى نتوقف ونتأمل ، ونفكر ، ونتدبر ، ونقرر .

واذا استطاعت هذه الرسالة الصغيرة ، أن تؤكد هذا المعنى ، بما فى السطور وبما بينها ، فانها تكون قد حققت كل الذى يرجوه كاتبها ، وان اقتربت من هذا الهدف ، كان ذلك نجاحا يرضى ، أما اذا عجزت عن ذلك كله ، فالأمل أن يقوم غير هذا الكاتب بهذه المحاولة ذاتها ، فانها مطلوبة ولا غنى عنها بحال .

الفصل الأول

أصول بعيدة

حينما كانت الدولة العلية ، دولة بنى عثمان ، ثابتة الأركان ، قوية البنيان ، عظيمة السلطان ، رأى كثير من المشكلات أن يؤجل ظهوره على مسرح السياسة • ولكن لما تداعت هذه الامبراطورية الفسيحة القوية ، بفعل الزمن من جهة ، وبفعل ما كان يعوزها من دوافع روحية ، تدعو الى تماسكها ، وتجددها ، أخذت المشكلات الدولية تطل برأسها فى استحياء ، ثم بشىء من الثقة ، ثم انفجرت •

كان من مشكلات انهيار سلطان بنى عثمان أو تدهوره ، المشكلة التى عرفت « بالمشكلة الشرقية » وهى لا تزيد عن صراع الأقوياء ، وتنافسهم على ما ستتركه الدولة الآفلة من أقاليم ودويلات فى شرق أوروبا ، كالبلغار واليونان والصرب ، وقد استمر هذا الصراع قرابة قرن ، يهز أوروبا هزا عنيفا ، ويقسمها الى معسكرات تتزعم روسيا احداها وامبراطورية النمسا والمجر الثانى ، وتتأرجح فرنسا وبريطانيا وألمانيا يمنة ويسرة بينهما ، حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى فى صيف سنة ١٩١٤ ، لأسباب كانت فى مقدمتها آثار المشكلة الشرقية • ولما بدا أن شيخوخة

الامبراطورية العثمانية التى سميت (بالرجل المريض) قد أوشكت أن تتصل بالموت ، انطلقت مشكلة أخرى هى المشكلة اليهودية ، التى عرفت فيما بعد بالمشكلة الصهيونية أو بمشكلة فلسطين ، والتى تسمى فى آخر الأيام بمشكلة الشرق الأوسط ٠

مرد هذه المشكلة الى أن العالم كان لايعرف من وسائل النقل الا ظهر الحصان ثم العجلات التى يدفعها هذا الحيوان الكريم ، وزميلاه البغل والحمار ، وكان لا يتقن من وسائل القتل الا ما يعتمد على شجاعة الشجعان : السيف والرمح، وما يشبههما ، لذلك كان الفتح بسيطا ، يحتاج الى مال، ولكنه مال متواضع، ويؤدى الى استغلال الشعوب المفتوحة، ونهب الأقاليم المغلوبة ، ولكنه كان أيضا استغلالا بدائيا فلما عرف الانسان البارود والبخار ، ترتبت على ذلك نتيجتان : أنه بات ممكنا للدولة القليلة العدد ، كهولندة وبريطانيا ، أن تغزو قارتين كالهند وأندونيسيا ، والثانية أن تقوم حكومة مركزية ، عظيمة السلطان فى عاصمة الامبراطورية الفاتحة ، يمتد سلطانها الى أقاليم أبعد ما تكون عنها ، والى حشود هائلة من الناس ٠

ولكن لم يكن فى الوسع أن تتحقق هاتان النتيجتان بفعل السحر ، الا أن يكون هذا السحر القديم ، الذهب الرنان ٠

فى كلمة واحدة ، نشأ الاستعمار الحديث ، استعمار

المدفع الطويل المدى ، استعمار الحروب التى لا يتقابل فيها الشجعان وجها لوجه ، ولا سيفا بسيف ، فما كاد هذا الاستعمار يبدأ حتى حدث الانقلاب الصناعى ، والثورة العلمية ، ووقع أكبر تطور فى صناعة الحروب ، وهو صب مئات من الأطنان من الحديد ، وتشكيلها كما تشكل قطعة العجين فى يد طفل ، فخرجت من هذا الكشف الرهيب مدافع أطول مدى ، تحتمل ضغط انفجار هائل ، فلا تنثنى قناة المدافع ولا تلين ، ثم جاءت بعد ذلك التركيبات والمنشآت الحديدية التى لم تخطر على بال ، من مثل (الكبارى) الضخمة ثم العربات المصفحة ، التى ولدت الدبابة ٠

باتت الحروب صراعا علميا ، واعتمد الصراع العلمى على المال ، وتجميعه وتركيزه ، ونقله من بلد الى بلد ، واستثماره وتوليد الالوف من المئات ، والملايين من الالوف، والبلايين من الملايين ٠

وعد الاستعمار الجديد بخيرات وثروات لم يحلم بها الاسكندر الأكبر ولايوليوس قيصر ، ولا اضرابهما كهانيبال وهولاكو ٠٠

فالدولة الفاتحة قادرة على أن تستخرج من باطن الأرض المغلوبة ذهبا وماسا وحديدا ورصاصا ، وأن تحول الى الأسواق أطنانا فوق أطنان قطنا وقهوة وشايا وغلالا، بعد أن تتناولها المصانع بالتشكيل والتغيير والتجميل ،

بل ان الدولة يمكن أن تتجر فى الملايين من بنى آدم ، وسواعدهم واكتافهم وعواتقهم •

لم يعد الاستعمار عملا سياسيا صبيانيا تفرض به دولة نفوذها وسلطانها على دولة أخرى ، بل أصبح عملا مدروسا ، يجب أن يحسب للبدء فيه ألف حساب ، ثم لما يدره من الثمرات وبلايين الجنيهات والدولارات ألف ألف حساب •

ولما كان اليهود قد حرمت عليهم دول أوربا اقتناء العقارات والاتجار فيها ، فقد انصرفوا الى اقتناء النقد السائل ، واقراضه ، تعويضا لأنفسهم وانتقاما فى الوقت نفسه ، فكملت لهم على مر القرون خبرة فريدة فى جمع المال ونقله من بلد الى بلد ، واستعماله وسيلة لاتخيب الى اذلال الأفراد ، والتحكم فى الحكومات • فلما ارتفع شأن المال بفضل هذا الانقلاب الصناعى ، وتلك الثورة العلمية ، أصبح الاستعمار هو صناعتهم المفضلة • بدأوا بالمشروع التجارى أو الصناعى الصغير ، ثم ارتفعوا منه الى المشروع الأكبر ، الذى يتخذ شكل شركة وينتقل الى مجموعة شركات ثم الى تكتلات تسمى « بالكارتل » و « الترست » ، ومن هنا ضاقت الأسواق المحلية المحددة بنشاط هذه الصور الجديدة القوية من استثمار الأموال ، وأصبح لامندوحة من البحث عن أسواق فسيحة ، تشمل أجزاء كاملة من القارات ، كما زاد نهم الانتاج الصناعى ،

فأصبح لايشبع بالموارد المحدودة الموجودة فى اقليم واحد، او عدة أقاليم .

ولما كان اليهود موزعين على العالم ، وكانت العلاقات تربط بينهم على اختلاف الشعوب التى يعيشون بين ظهرانيها ، والدول التى يعيشون فى ظل سلطانها . فقد تيسر لهم أن يضعوا خريطة العالم تحت أنظارهم ، وأن يضعوا بالتالى ، خططا لهجومهم الاقتصادى ، ليضمنوا موارد طبيعية هائلة وأسواقا تجارية مترامية الآفاق .

خرجت من هذه التطورات حكومة عالمية تعلو فوق الحكومات جميعا ، لأنها تفرض كلمتها على الساسة والأحزاب ، وتدفعهم دفعا خفيا حينا وظاهرا آخر الى ما تريد هى ، دون أن تظهر على مسرح السياسة ، لأنها تعتبر السياسة عملا صغيرا ، تتقاتل فيه الدول والجماعات السياسية ، كما يتقاتل الصبيان ، على أن يبقى لها هى الكلمة الأخيرة فيما يجب أن يعمل ، وفى تحديد موعد العمل وأساوبه ، والأشخاص الذين يقومون به ، ومن يغلب ومن يغلب (بفتح الياء وضمها) .

استتب الأمر لحكومة المال ، واستقر زمام هذه الحكومة ، فى يد الرأسمالية العالمية التى هى رأسمالية يهودية .

وتتابعت على مسرح السياسة العالمية ظواهر نراها

جميعا ونشير اليهـــا دون أن ندرك المعنى الذى يستتر خلفها ، حتى بتنا كالببغاوات ، نقول مالانعى ٠

فنحن نردد مثلا مايؤثر عن الساسة البريطانيين من أن بريطانيا ليس لها أصدقاء دائمون ولا أعداء دائمون ، بل لها مصالح دائمة ٠

ونحن يتولانا العجب ، حينما نرى أحزاب الأحرار ، أشد انغماسا فى أعمال القمع والفتح أحيانا من أحزاب المحافظين ٠ فاحتلال مصر تم فى عهد الأحرار واســقاط مصدق فى ايران وقع فى عهد حكومة العمال ، وما كان يجرى فى عدن قبل استقلالها هو امتداد لما كان يجرى من قبل فى عهد حكومة مكميلان وهيوم ٠٠

وفى الولايات المتحدة تحاول أن تجد فارقا بين حزب الديموقراطيين وحزب الجمهوريين فلا تجد ، وفى فرنسا لاترى الأحزاب الاشتراكية حرجا فى شن حرب ضارية ضد الجزائر ٠٠ سنين طويلة ، ولا فى تدبير مؤامرة الغزو الحقيرة سنة ١٩٥٦ ضد مصر ٠

التفســير البســيط لــكل هذه الظواهر ، أن هذه الأحــزاب لا تملك زمام نفســها ، فهى لا تعدو أن تأتمر بأوامر هذه الســلطة العليا ، وأن تذعن لهــا وتطيع ، وبريطانيا حينما يعلن ساستها أنه ليس لبلادهم أعداء أو أصدقاء دائمون ، بل لها مصــالح دائمة ، قد لايفطن

بعض هؤلاء أنفسهم الى أن هذه المصالح الدائمة ، هى مصالح هذه السلطة العليا التى ترسم سياسة الدول الكبرى بما يحقق مصلحة الراسمالية العالمية .

لذلك كان من المستحيل على هذه الحكومة العالمية غير المنظورة أن ترى دولة بنى عثمان مشرفة على الزوال دون أن تفكر طويلا فى الآثار التى ستنجم عن هذا الزوال ، فى بقعة من أكثر بقع الأرض خطرا ، تلك هى البقعة التى تضم ملتقى الطرق البحرية والبرية العالمية ، أعنى مصر وما حولها .

وقد كانت كل الدلائل تشير الى أن هذه البقعة لن تبقى على الصورة التى كانت عليها فى عهد الدولة العثمانية ، فقد بدأت أفكار الديمقراطية تغزو الدولة ذاتها ، فقام حزب الاتحاد والترقى ، وحمل السلطان عبد الحميد على اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ ، ثم عزل سنة ١٩٠٩ ، ومنذ مطلع القرن العشرين ، بل فى آخر عقود القرن التاسع عشر ، أخذ القلق يغزو الولايات العربية : الشام والعراق ، ونشأ العديد من الجمعيات والهيئات التى تطالب بالحكم الذاتى ، وبدستور اتحادى ، وامتشق بعض الأحرار أقلامهم فهاجموا الطغيان التركى ، والطغيان عموما ، وظهرت صحف فى مصر ، أخرجها وأصدرها عدد من أحرار الشوام مع عدد من رواد مصر الفكريين وجعلوا هدف حملاتهم الاستبداد فى استانبول ، والاستبداد في القاهرة .

اذن قد أفاق العــرب من سبـــاتهم ، فلو انتزعوا استقلالهم ، لأدركوا أن وحــدة الحال بينهم تقتضـــيهم أن يتلاقوا ، ولو تلاقوا لاتحدوا ، ولو اتحدوا لنشأت فى هذا الركن الحساس النفيس دولة تجتمع فى يدها مفاتيح البحار العالمية الأساسية ، جبل طارق فى مدخل البحر الأبيض غربا ، « وبورسعيد » في مدخله شرقا ، والسويس وباب البحر الأحمر الشمالى، وعدن بابه الجنوبى، وقناة السويس شريان التجارة العالمية ، وتجتمع فيه أيضا الطرق البرية المؤدية الى قلب أفريقيا عن طريق اتصال مصر بالسودان ، والى الشرق القريب والبعيد ، عن طريق سوريا فالعراق فالهند •

دع عنك احتمالات البترول الذى أخذت رائحتــه تفوح من حقول الموصل ، واجتماع كل الأراضى المقدســة للأديان السماوية الثلاثة فيه •

هذا موقع جدير بأن يموت دونه الاستعمار ، وحقيق بأن تنفق حكومة رأس المال العالمية ، كل جهد وكل عنــاء فى سبيل الاحتفاظ به •

ان نشوء اسرائيل ، فى التاريخ الذى نشأت فيه ، وفى الظروف التى ولدت فيها ، تكاد تكون منقطعة الصلة بالأشواق الروحية التى تساور اليهود ، والتى تحدو بهم الى الأمل فى العودة الى فلسطين ، والاقامة فيها والموت فى أرضها •

لست أنكر للحظة واحدة أن بعض اليهود ظلوا يرنون الى فلسطين ، فى حنين متصل ، وأن آخرين رأوا فى أحلام يقظتهم هيكل سليمان يعود ، ومجد أورشليم يبنى من جديد ، وأن فريقا ثالثا آمن بما اعتبره (بشارة) التوراة لأولاد يعقوب ، بأن فلسطين – بغير حاجة الى التحديد – قد أقطعها الرب لهم ، دون غيرهم ٠

لكن كل ذلك لم يكن كافيا فى الماضى قبل القرن الثامن عشر ، وكان جديرا بألا يكون كافيا فى القرن العشرين ، لأن يخلق مشكلة فلسطين ، ويجعلها محورا للسياسة الغربية فى هذه البقعة من الأرض ، فى الربع الأول من القرن العشرين ٠

كذلك لم تكن الاضطهادات النازية ، ومعسكرات الاعتقال ، ومذابح اليهود بالجملة ، التى روج أنباءها اليهود ، وروجتها معهم دوائر الاستعمار الغربى ، ووسعت من نطاقها وأضافت اليها كل يوم جديدا ، لم تكن هذه الاضطهادات والمذابح سببا فى جعل (خلق اسرائيل) غاية يتعاون لتحقيقها دوائر النفوذ والمال والحرب فى كل دول الغرب ابتداء ببريطانيا ، وانتهاء بالولايات المتحدة ٠

فاسرائيل لم تصبح غاية عند الصهيونيين ، الا بعدما أصبحت غاية عند دوائر المال والاستعمار ، ودوائر الحرب والسياسة العالمية فى الغرب ٠

وقد يبدو هذا كله مبالغة منا ، أو تخيلا ، ولذلك فقد

عدنا للكلام فى هذا الموضوع لنسوق عليه بعض الأدلة ؛ وان كنا نؤمن بأن هذه القضية ليست فى حاجة بذاتها الى تدليل، لان من المعروف أن فى مخزن الدوائر السياسية ، فى كل دولة، مجموعة من الأهداف النبيلة والشعارات السامية، فاذا وقعت الدولة فى أزمة فى الداخل أو فى الخارج مدت هذه الدوائر يدها الى المخزن ، وتناولت منها ما يتفق مع ظروف الحال ·

فبريطانيا أيدت الباب العالى ضد روسيا ، وحاولت أن تبقى على تركيا ، وهى تنهـار وينقض بناؤها ، حتى لا تسقط مضايق الدردنيل والبوسفور فى يد روسيا ، وأعانت ثورة اليونان ضد تركيا حتى لا يسقط شرق أوروبا فى يد النمسا ، أو يد روسيا أيضا ·

وفى الحالة الأولى زعمت أنهـا تدافع عن حقـوق السلطان ، وفى الحالة الثانية زعمت أنها فى صف الشعوب المطالبة بحريتها ، ومن هنا كان يمكن أن تبقى أشـواق بعض اليهود الى العودة الى فلسطين ، فى مخزن بريطانيا، أجيالا أو قرونا حتى تبيد الامبراطورية البريطانية ، ويهلك عنها سلطانها ، لولا نشوء ماسمى بالمشكلة أو المسـألة الشرقية ، التى تواضع المؤرخون – كما سبق القول – على اطلاقهـا على مجمـوعة المشـكلات السـياسية والاقليمية والعسـكرية ، التى تخلفت عن تضعضع تركيا ، وطمع الدول الكبرى فيما سبق بعد اختفائها من مسرح السياسة الدولية من أسلاب وغنائم ·

لولا هذا الضعف الذى دب الى تركيا ، ولولا اليقين بأنها زائلة ، لما تحرك أغنياء اليهود ، الذين عرفناهم فى السنين الأخيرة باسم الصهيونيين ، ولما تحركت لتحركهم السياسة فى بريطانيا وفرنسا وكل غرب أوروبا ·

لننظر الى اتجاه تيارات الهجرة اليهودية فى المدة ما بين سنة ١٨٠٠ ــ ١٩٥٠ ، عندما وقعت الاضطهادات على اليهود فى روسيا وبولندا والمجر ورومانيا فى السنوات ١٨٨١ ــ ١٨٨٢ ــ ١٨٩٠ ــ ١٨٩١ ــ ١٩٠٥ ــ ١٩١٠ ·

لقد كانت هجرة اليهود الى الولايات المتحدة فيما بين سنة ١٨٨١ــ١٨٩٩ ــ ٣٠ ألفا سنويا ثم ارتفعت فيما بين سنة ١٩٠٠ الى ١٩١٤ الى مائة ألف كل سنة ·

ولم تتجه من هذه الألوف المؤلفة الى فلسطين سوى مئات قليلة على ما يؤكده الدكتور رابان سملكا فى كتابه « المهاجرة اليهودية من أوربا الشرقية خلال الخمسين سنة الأخيرة » ·

ففلسطين لم تكن فى خاطر اليهود الذين تعرضوا للاضطهاد ، وانما كانت أقطار الغرب هى الهدف ، وكان الذين يقصدون فلسطين هم عادة من الشيوخ الذين كانوا يتمنون أن يموتوا ويدفنوا فى أرض فلسطين ، وأن يطويهم ثراها ، بدليل أنه لم يكن فى فلسطين حتى سنة ١٩١٨ سوى ٥٥ ألفا من اليهود ·

ولما نبتت فكرة الدولة اليهودية فى رأس تيودور هرتزل وأعلنها فى كتابه « الدولة اليهودية » الذى نشر فى سنة ١٨٩٦ ، لم يحرض اليهود كافة على الهجرة ، بل وجه نداءه فقط الى الذين تسوء ظروفهم تحت حكم الدولة التى يعيشون فيها • على أن الأهم أن هرتزل لم يدع قط الى انشاء الدولة اليهوديه المرجوة على أرض فلسطين ، بل كان يقــول : يكفى أن تعطــونا أية قطعــة من الأرض تتناسب وحاجتنا وحاجات شعبنا وتكون لنا السيادة عليها (١) •

بل ان هرتزل ذهب الى أبعد من ذلك ، فقــد نصح اليهود أن يتجنبوا فكرة الهجرة الى فلسطين ، كما نقل عنه ايلى كوهين فى كتابه « المسألة اليهودية والقانون الدولى » •

ولم يعد خافيا على أحد أن عــددا كبيرا من زعمــاء اليهــود أفزعتهم فكرة انشاء دولة يهودية ، الى حــد أن حاخامات لندن وفيينا وباريس أرسلوا الى برليفر تاجبلاط الألمانية احتجاجا على فكرة انشاء الدولة اليهودية ، وقد أعلن فى سنة ١٩٣٩ العالم الرياضى « ألبرت أينشتاين » اعتراضه على فكرة هذه الدولة وتنبأ بأنها لن تكون الا دولة مؤقتة •

وقد استمرت هذه المعارضة حتى بعد قيام اسرائيل، فان يهوذا ماجنيس الأمريكى الجنسية الذى أسندت اليه

---

(١) اسرائيل • جناية وخيانة ــ لسعدى بسيسو (٣٠٢) •

رياسة الجامعة العبرية فى القدس وعاش فترة غير قصيرة في اسرائيل أزعجه فيها الارهاب الاسرائيلى ، وتحدى كل القوانين التىتدعو اليها أصلا اليهودية ، وسائر الأديان السـماوية فقال :

« لا يمكن ايجاد الدولة اليهودية ـ هذا اذا تمكنت من شق طريقهـا للوجود ـ الا عن طريق الحـرب ، وانكم تستطيعون أن تحدثوا العربى فى كل شىء الا فى الدولة اليهودية » ٠

وكلامه هذا ليس سوى رجع الصدى لكلام يهود كبار آخرين كسيد لفيان ليفى الأستاذ فى الكوليج دى فرانس٠ الذى صرح أمام مؤتمر السلام فى سنة ١٩١٩ بقوله : « لست صهيونيا ولا أشاطر الصهيونيين أفكارهم ٠ اننى فرنسى قبل كل شىء ٠ ولست ممن يعتقدون بضرورة أو امكان أو فائدة انشاء دولة يهودية فى فلسطين » ٠

والثابت كذلك أن الحركة الصهيونية لقيت معارضة شديدة جـدا من فريق كبير من زعمـاء اليهـود فى أوربا وأمريكا ٠ بل ان وايزمان نفسه ، وهو أول رئيس لدولة اسرائيل ، والزعيم الحقيقى للحركة الصهيونية بعد وفاة هرتزل سنة ١٩٠٥ ، يقرر أن المعارض الوحيد فى الوزارة البريطانية التى أصـدرت تصريح بلفور فى نوفمبر سنة ١٩١٧ لاصدار هذا التصريح ، كان الوزير اليهودى الوحيد

فى هذه الوزارة ، وأعنى به « مونتاجو » الذى كان وزير الهند فى الوزارة البريطانية سنة ١٩١٧ ٠

ولم تستطع الحركة الصهيونية الحصول على تأييد اليهود فى العالم الا بعد سنوات ، وبوسائل الارهاب والابتزاز ، ومع مثابرة ومصابرة طويلتين ٠

وتقول البداهة ان دول الغرب ما كانت لتسند حركة كهذه الحركة ، لا تلقى تأييدا جماعيا من اليهود ، بل على النقيض تجد مقاومة من زعماء اليهود ، لولا أنها وجدت فيها مصلحتها السياسية ٠

وهذا ما نريد أن نصل اليه ، أن وجود اسرائيل ٠ فى هذه البقعة حتمته دواع سياسية هى :

أولا ـ انهيار دولة بنى عثمان ، أى دولة الخلافة التركية ، فى استانبول ٠

ثانيا ـ ظهور ارهاصات الحركة الوطنية فى البلاد العربية الخاضعة لتركيا فى سوريا ولبنان على وجه التحديد ٠

ثالثا ـ ظهور بشائر الحركة العربية الشاملة ٠

رابعا ـ اشتداد الحركة الوطنية فى مصر ، ابتداء من السنين الأخيرة فى حكم الخديو اسماعيل ، وكثرة ظهور الصحف الوطنية في هذه السنوات بالذات ٠

خامسا ـ تزايد بأس الدول الألمانية ، وأطماعها فى الشرق ، التى عبر عنها مشروع سكة حديد العراق .

سادسا : احتمال انهيار الامبراطورية الروسية ، تم تحقق هذا الانهيار ، ونشوء دولة شيوعية ، بعد ثورة سنة ١٩١٧ .

وقد توج هذا كله كشف البترول فى السعودية وامارات الخليج ، وثبوت أن هذا البترول يمثل أكثر من ٦٠٪ من احتياطى بترول العالم .

فى ظل هذه الظروف ، التى مهد بعضها لبعض ، فاتصلت حلقاتها فى شبكة شديدة الاحكام ، بات من المحتم ألا تترك هذه المنطقة الحيوية ، منطقة المشرق العربى ، التى تتصل بالقارات الثلاث : آسيا وأفريقيا وأوربا ، والتى يخترقها أكبر ممر بحرى « قناة السويس » ، والتى لعبت فى حروب العالم كلها أكبر دور ، والتى تمثل أعظم وعاء حضارى ، لكل ما عرفته الانسانية من ثقافات ومدنيات .

كان لابد من أن تقوم فى هذه المنطقة دولة تنتمى الى الغرب ، تمثله وتقوم بدور القواعد العسكرية ، والمحالفات السياسية ، مع ما يمكن أن تمتاز به الدولة على القواعد العسكرية والمحالفات السياسية من صفة الدوام والاستقرار ، فان محالفة سنة ١٩٣٦ المصرية البريطانية مثلا ألغيت ، كما سقطت قاعدة قناة السويس ثم زالت

قاعدة الحبانية فى العراق ، وستزول ان آجلا وان عاجلا قاعدة قبرص ، كما صفيت عدن ، أما الدولة التى تعترف بهـا الدول الأخرى ، فستكون فى رعاية القـانون الدولى وسيصبح مستحيلا ، أو على الأقل ، صعبا غاية الصعوبة ، أن تطلب دولة أو عدة دول الغاءها ، فالتاريخ لم يسمع حتى الآن بشيء من هذا ، لقد حدث أن هزمت دولة أو ألحقت بغيرها ، أو أخضعت للحماية أو أصبحت مستعمرة ، ولكن لم يحدث أن أزيلت دولة من الوجود ، بالوسائل القانونية، فاسرائيل حينما تنشأ ستصبح قاعدة للغرب محالفة له ، مع تمتعها بحصانة الدول ، وحماية القانون ، ورعاية الأمم المتحـدة ٠

هذا ، ما اهتدى اليه التفكير الاسـتعمارى قبيل الحرب العالمية الأولى ، وخلال سنيها ، ثم قبيل الحرب العالمية الثانية ، وفى أعقابها .

فنشوء اسرائيل واتضاح فكرتها والنشاط الذى دب فى المساعى التى بذلت لاقامتها ، كان يسير جنبا الى جنب مع تطور الأحداث العالمية ، والتقدم الذى تحققه الحركات القومية والنفوذ الذى تكسبه ألمانيا الهتلرية حينا ، والاتحاد السوفيتى حينا آخر ، وزيادة الاستثمارات الرأسمالية فى بترول هـذه المنطقة ، وزيادة أهمية البترول فى السـلم والحرب ٠ واذا كانت بريطانيا قد تلكأت أثناء السنين الأولى للحرب فى مساعدة الفكرة الصهيونية فذلك لأن أحـداث

هذه الحـرب ، ومهاب السـياسة خلالها ، لم تكن جلية للساسة البريطانيين من جهة ، كما لم تكن جلية لزعماء الصـهيونية أنفسهم من جهـة أخرى ، ففريق من هؤلاء الصـهاينة كان يؤمن بنجـاح الامبراطورية الألمانية فى الحرب، ولكن وايزمان وفريقه راهن على انتصار بريطانيا، ووقف الى جانبها ، وقد رجحت كفة هذا الفريق لما خرجت بريطانيا منتصرة عسكريا ، مهزومة اقتصاديا ، وانتقلت السلطة الى أمريكا ، وانتقل النشاط الصهيونى الى هناك٠ وترددت دوائر أمريكا فى بذل المعونة للحركة الصهيونية، لأن هذه الدوائر لم تكن قد قررت بعد أن تخرج بنشاطها المالى والاستعمارى من نطاق أمريكا نفسها ، فلما قررت ذلك فى أوائل سنى الحـرب العـالمية الثانية ، أصبحت اسرائيل غاية كبرى من غاياتها ، الى الحد الذى نستطيع أن نقول معه انه لو قررت أغلبية اليهود ، نفض يدها من مشروع اسرائيـل والعـدول عنه ، لاحتضـنت الولايات المتحدة ودول الغرب بغير استثناء ـ هذا المشروع ، ولعضت عليه بالنواجذ ٠ وهو ما حدث فعلا ٠ فقد أيدت كل من بريطانيا وأمريكا مشروع انشاء دولة يهودية فى فلسطين فى وجه معارضة يهودية قوية لهذا المشروع كما مر بنا ٠

والصراع الذى دار بين هرتزل ، قبل وفاته ، من جهة ، وبين وايزمان وسولوكوف ، وهانتك ، ووربرج وليفين ، زعماء الصهيونية ، من جانب آخر ، حول امكان

اقامة اسرائيل على أرض فى يوغندا بأفريقيا مثلا ، بدلا من فلسطين ، هو فى الواقع الصراع بين الذين يطلبون ملجأ لليهود يلوذون به عند الاضطهاد وبين الذين يرتبطون بالنشاط السياسى في الغرب ، والذين يدركون أهداف هذا النشاط البعيدة ويعملون لتحقيقها • صحيح أن هرتزل كان يقول كلاما يدل على قوة صلة مشروع انشاء دولة اسرائيل بدوائر النفوذ السياسى فى أوربا ، فقد قال مثلا: « سوف نشكل لأوربا ، في فلسطين ، جزءا من الحاجز الذي يحميها من آسيا ، وسوف نكون ديدبان الحضارة المتقدمة ضد البربرية ، وسنظل دولة محايدة على علاقة متينة بأوربا كلها التى سيكون عليها أن تضمن وجودنا » •

ولكنه كان مضطرا أن يقول هذا الكلام لأنه كان يبحث عن قطعة أرض فى أية بقعة من العالم ليقوم عليها اليهود ، دون أن يشترط أن تكون هذه القطعة فى فلسطين ذاتها ، ولكنه بدأ بفلسطين ، ولذلك اضطر أن يتلطف للسلطان عبد الحميد ، وأن يقول انه اذا أعطى اليهود هذه القطعة من الأرض المرجوة في فلسطين فسوف ينظمون مالية تركيا ، ويردون عنها هجمات أوربا التى كانت تشتد حملاتها على السلطان عبد الحميد ، بدعوة أن المسيحيين فى الامبراطورية العثمانية يتعرضون للمذابح ، وأن الأتراك أمة من الهمج ، تحيى تقاليد هولاكو وجنكيز خان •

ومما يدل على أن اليهود ، فى عمومهم ، لم يكونوا

مصممين على اقامة دولتهم في فلسطين ـ أنه حينما عرض مشروع اقامة الدولة على أرض أوغنـــدا ، على المؤتمر الصهيونى فى سنة ١٩٠١ ، وافق على هذا الاقتراح ٢٩٨ من الأعضاء ، وعارضه ١٧٨ فقط ، ولم يقنع المؤتمر بهذا، بل انتخب لجنـــة فنية سافرت لدراسة أوغندا والظروف المواتية لاقامة دولة اليهود عليها ، ومع تأييد الأغلبية لهذا المشروع ، فقد استمرت الأقلية النشيطة فى معارضته حتى حصلت فى المؤتمر الثانى على قرار برفضه ، فمات هرتزل غما وحزنا فى ٤ من يوليو سنة ١٩٠٥ ٠

ولم يبق مطروحا على البحث ، فى العالم اليهودى ، الا مشروع اقامة دولة يهودية على أرض فلسطين ذاتها أو على مقربة شديدة منها كشبه جزيرة سيناء أو العريش ، ذلك لأن زعماء الاستعمار ، رأوا أن التفريط فى اقامة دولة يهودية هناك ، بلاهة لا تدانيها بلاهة ، فما دامت الظروف قد واتتهم بيهـود يقولون ان أرض فلسطين هى ملكهم بدليل نصـوص فى التـوراة فلابد أن ينتفعوا من هـذه الظروف ، وأن يقيموا تلك الدولة ، ولو كرهت أغلبيـة اليهود الكبرى ، لأن القصد ليس ارضاء اليهود ، وانما القصد هو تحقيق مطامع الاستعمار ٠

وقد قلنا فيما سبق ان زعامة الجبهة الاستعمارية آلت الى كبار الأغنياء اليهود ، وذلك لتمرس هؤلاء بالشـئون المالية والمصرفية والاقتصـادية على النطاق العـالمى ، لأن

للأسرة اليهودية الواحدة فروعا فى أكثر من دولة • فقد تطابقت مصلحة الاستعمار مع مصلحة الكبار من اليهود ، ومن هنا كانت الجبهة التى تؤيد اسرائيل هى هذه الجبهة التى تضم زعماء الاستعمار ، الذين هم من زعماء الصهيونية، وان لم يخل الحال من مسيحيين أغنيـــاء ، يتمتعون بلقب استعمارى عظيم ، ولكن تبقى أغلبية أعضاء هذه الجبهة من كبار الصهيونيين •

وقد أورد دافيد لاندز فى كتابه «بنوك وباشوات» (١) كشفا بأسماء العائلات اليهودية التى نشرت نفوذها على عالم المال بعواصم الدنيا ، بفضل فروعها العائلية المتشعبة ، فذكر فيما ذكر عائلة أوبنهـايم الذين رحلوا من بون الى كولون عام ١٨٠١ بعد أن فتحها الغزو الفرنسى لليهود ، وعائلة مندلسون الذين أقاموا فى برلين ســنة ١٧٩٥ ، واشتهر منهم المؤلف الموسيقى فليكس مندلسون ، ثم عائلة (هاين) أصحاب بنك هامبرج فى ســـنة ١٧٩٧ والذين كانوا مرتبطين بأقوى الشركات اليهودية فى أوربا ، وأهم من أولئك جميعا عائلة روتشيلد •

وقد آن لنا أن نعرف أن الاستعمار كله هو نشاط صهيونى ، فالصهاينة بما يقرضونه للدول ولرؤسائها من مال ، ولتـأثيرهم على دور النشر ، يســتطيعون دائما أن

---

(١) بنوك وباشوات ص ٢٢ ، ٢٣ عن النسخة المترجمـــة بقلم د. عبد العظيم أنيس •

يهيئوا الجو لأية مغامرة استعمارية ، باعتبارها واجبا قوميا ، يحتمه شرف الدولة ، ومستقبلها ، وعظمتها ، فتنساق جميع أجهزة الدولة للأبواق الصهيونية ، وتخرج جيوشها غازية وهى تحسب أنها تحقق المجد القومى ، فى حين يزحف وراءها وتحت علمها بمجرد نجاح الغزو القومى المرابون اليهود ، وأصحاب رءوس الأموال ، فيضعون أيديهم على اقتصاد البلد المغزو : كان فى مصر العلم البريطاني يرفرف أثناء سني الاحتلال ، ولكن كان شيكوريل وبنزيون وعدس وبلانشي وأورزدى باك وجاتنيو ، وكان كبار المستوردين والمصدرين ، وشركات اصلاح الأراضى كشركة وادى كوم امبو وشركة المحاريث ، وفوق ذلك كله كان البنك الأهلى المصرى الذى أنشأه اليهودى السير أرنست كاسل ليكون رأس الاقتصاد البريطانى فى مصر ، كل هذه المؤسسات مال يهودى صرف • وكانت شركة المعادن والشركة البلجيكية العامة فى الأغلب الأعم ملكا لليهود وان كانت الكونغو مستعمرة بلجيكية ، وهكذا وهكذا ، لاتستطيع أن تجد استثناء لهذه القاعدة في أية دولة قضى عليها حظها العاثر أن تقع فى براثن استعمارية • فالأموال الصهيونية تبتلع اقتصادها ، وتمتصها ، وتوجه استثماراتها •

يتقدم علم الدولة الغازية وسط هتاف وصيحات فرح المواطنين رعايا هذه الدولة ويحسبون أنهم نالوا بهذا الفتح

كل ثمراته · وهم فى الواقع ينالون ما يتنازل لهم عنـه الرأسمال الصهيونى من فتات ، وان كان هذا الفتات على قلته بسبب التخمة ·

وتبعا لهذه القاعدة اتجه دزرائيلى اليهودى الى ابن جلدته روتشيلد اليهودى ، حينما فكر الأول فى أن يشترى لبريطانيا الأسهم التى كانت مملوكة للخديو اسماعيل فى قناة السويس ، وقدرها ١٧٦ ألفا ، بأربعة ملايين جنيه ، دون أن يرجع فى ابرام هـذه الصفقة حتى الى مجلس الوزراء ، فلم يتأخر روتشيلد فى فتح خزانة البنك فى يوم عطلة ليضمن انقاذ هذه الصفقة التى كان يعلم أنهـا المقدمة لاحتلال مصر ، الذى أعان عليه وجود (جامبتا) اليهودى أيضا فى وزارة الخارجية الفرنسية ·

حلقـات متصلة تديرها وتنسجها يد هـذه الحكومة السرية العليا المهيمنة على أقدار السياسة الدولية للغرب ، حكومة الرأسمال الصهيونى الاستعمارى ·

وانشاء اسرائيل فى هذا الجانب من العالم قرار من قرارات هذه الحكومة السرية العليا اقتضته مصلحة هذه الحكومة ، أى مصلحة الرأسمال الاستعمارى ، الذى هو بطبيعة الحال رأسمال صهيونى فى الأغلب ·

لذلك يكون من العبث أن نسـأل هل اسرائيـل هى أداة السـياسة الأمريكية ، أم الدولة الأمريكية هى أداة

اسرائيل ، لأن الواقع أن الاثنتين خاضعتان لسياسة الرأسمال الصهيوني الاستعماري ، كما قلنا ، والفصل بينهما مستحيل ، لأنه من قبيل الفصل بين الشيء وذاته ·

ومن ثم فاني أستطيع أن أجزم بأنه اذا تضاءلت أهمية هذه المنطقة ، المنطقة التى تقع فيها اسرائيل ، منطقة الشرق العربى ، أو زالت ، زال كل اهتمام لحكومة الولايات المتحدة وسائر حكومات الغرب من بريطانيا الى فرنسا وهولندا وبلجيكا وسويسرا وايطاليا لا نفرق بين دولة ودولة ، وأن تتفاوت هذه الدول فى الحماسة لاسرائيل حسب مقتضيات الظروف الطارئة ، وقرب مصالح الدولة الغربية أو بعدها عن الأمور الجارية في تلك المنطقة ·

فلولا بترول العرب ، ولولا الأهمية الاستراتيجية السياسية والعسكرية لمنطقة الشرق العربى وباقى العوامل التى ذكرناها ، لما ظفرت دولة الصهاينة من بريطانيا أو فرنسا أو الولايات المتحدة بجندى واحد ولا بقذيفة بندقية واحدة ولبقى مشروع اسرائيل ــ اذا بقى ــ أملا لجزء صغير من اليهود المتدينين الذين يعتبرون أن العودة الى هذه البقعة فريضة دينية أو أمل روحى · لقلمت أظافر هذا المشروع على كل حال ، وزالت عنه ضراوته ، ولعجز عن أن يؤذى أحدا ·

والنتيجة لهذا كله ، أن العرب يجب أن يوطنوا أنفسهم على أنهم لن ينازلوا اسرائيل فى المستقبل الا ومن

ورائها الغرب كله ، تمدها دولة أو دولتان من هذا الغرب بالسلاح والذخيرة والعتاد ، وتقف وراءها سائر دول الغرب بوزارات خارجيتها ودوائر السياسة فيها ، ومهما حاول الغرب أن يزعم بعضه أو كله أنه محايد ، فهو لن يستطيع أن يكون محايدا فى مسألة تكون فيها اسرائيل طرفا ، لأن اسرائيل هى هو ، لا لأن مصلحة الغرب واسرائيل مصلحتان متقاربتان بل لانهما مصلحة واحدة وهى مصلحة سياسية ، ليس فيها من العطف على اليهود وعلى آمالهم الا أقل القليل ·

قال ذلك تشرشل فى أعقاب تصريح بلفور ، فنفى أن يكون التصريح فروسية من بريطانيا وتبرعا سخيا لليهود · بل قال بالحرف : ان كان اجراء فى وقت الحاجة قصد به تحقيق الفوز التام للحلفاء ، وقد توقعنا من هذا الاجراء أن نظفر بمعونة ذات شأن وقد تحقق بالفعل ما توقعناه ··

ولكن تشرشل لا يقول هنا الا بعض الحقيقة فالحقيقة ان هذا الاجراء ، أى اصدار تصريح بلفور ، لم يكن اجراء مؤقتا الا باعتباره مقدمة لاجراء أكبر منه هو انشاء دولة لليهود فى فلسطين ، وان قال ذلك المركيز دارجنسون من قبل أن تشق قناة السويس أى قبل قرن مضى ، اذ قال وهو يدعو الأمم الى مشروع قناة السويس : أن ينفذوا هذا المشروع بوصفه « فتحا » صليبيا لحساب الغرب كله · فعلى

العرب أن يقيموا سياستهم على هذا الأساس ، وألا يؤخذوا على غرة فى أية جولة فى حلبة السياسة أو حلبة الحرب مع اسرائيل • فالغرب هو طرف فى كل معركة تكون فيها اسرائيل طرفا •

وقد يبدو غريبا أن يشمل الغرب اسرائيل بهذا العطف ، واليهود لم يلقوا اضطهادا مثلما لقوا في أوربا شرقا وغربا ، وحركة معاداة السامية لم تنشأ ولم تستفحل الا فى أوربا ، وقد تناوبت دول الغرب مطاردة اليهود ، والتضييق عليهم ، وتسليط أسوأ أنواع التعذيب على جموعهم وأفرادهم ، اذ ما كادت حركة التعذيب تهدأ فى أسبانيا وبريطانيا وفرنسا ، حتى اشتدت فى روسيا وبولندا ورومانيا ، ولما هدأت قليلا في أوربا الشرقية اشتعلت نيرانها في وسط أوربا ، وهكذا •

ولكن الواقع أن أوربا ، وان اضطهدت اليهود ، الا أن اليهود أقرب الى قلبها من العرب ، فاليهود كانوا ضحايا الاضطهاد العنصرى فى أوربا ولكن اليهود لم يكونوا أندادا لأهل أوربا ، ولا منافسين لهم ، بينما دخلت أوربا فى حروب متصلة مع أهل هذه المنطقة ، لقد حاربت العرب في الحرب الصليبية ، التى أدت الى زحف الأتراك من آسيا الوسطى الى منطقةالشرق العربى، واستيلاء الدولة العثمانية على عاصمة الدولة البيزنطية (القسطنطينية) ودخولها فى حروب متصلة لخمسة قرون مع أوروبا ، كانت فيها جيوش

السلطان العثماني تنزل الهزائم الكبرى بدول الغرب ، وتهدد عواصمها فى أوربا الوسطى • فلما انحسرت موجة الدولة العثمانية ، دخلت أوربا فى حروب ضد محمد على وجيوشه وأساطيله ، فلما ضيق على دولة محمد على التى كانت موشكة أن ترث دولة بنى عثمان ، دخل الغرب فى صراع مع القومية العربية الحديثة فى مصر ، وفلسطين والعراق وسوريا ولبنان وفى كل المغرب العربى ، وقد كانت آخر معارك الغرب مع العرب معركة الجزائر التى أثخن فيها أبطال هذا الشعب العظيم ، جيش فرنسا جراحا • فأهل الغرب لا يضمرون للعربى بل للشرقى عموما الا الكراهية أو الاحتقار أو الخوف ، وفى أحسن الأحوال يبدو لهم الشرقى غامضا غير مفهوم •

فى حين أن الأوربيين ينظرون الى اليهود على أنهم شركاء لهم فى اقامة الحضارة اليونانية الرومانية ، ولليهود مساهمة فى بناء هذه الحضارة لا يستطيع الغرب أن ينكرها، وهم معا أبناء العقيدة اليهودية المسيحية ، التى يعتبر فيها كتاب اليهود الجزء الأول من أجزائها ، بل الجزء الرئيسى • واذا كان اليهود قد صلبوا المسيح ، حسب ما ورد فى الأناجيل ، فالمسيح هو يهودى أصلا ، جاء لا لينقض الناموس بل ليقيمه، والانسان قد يحتمل العيش مع ضحيته التى عذبها أى يقبل أن يعايشها ولكنه لايطيق الخصم المنافس • خصوصا اذا كان هذا المنافس قويا وقد عاش زمنا طويلا الفائز المظفر •

ولكن لا يجدر بنا أن نقذف هذه الحقيقة فى نفوسنا باليأس ، ولا أن تفت فى عضدنا ، فليس (الغرب) هو كل العالم ، ففى العالم الآن قوى جديدة ، تزداد مع الأيام قوة ، وليس كل ما يريده الغرب يجاب اليه ويتحقق ، كما كان الحال فى الماضى القريب ، حين كان هذا الغرب سيد العالم ، فقد كان (الغرب) يتمنى أن يبقى فى الهند ألمع جوهرة فى تاج بريطانيا ، فاضطر أن يجلو عنها ، وكان (الغرب) حريصا ألا تفلت منه الجزائر التى كان يصفها بأنها (فرنسا على الشاطىء الآخر) فتركها بعد هزائم مدوية ، وفى (الغرب) ساسة يحاولون أن يرسموا لبلادهم سياسة جديدة معتدلة ، وما تلقاه أمريكا فى (فيتنام) مثل طيب لما تستطيع الشعوب المؤمنة أن تنزله بكبريات الدول ، ولو كانت من (دول الغرب) المدججة بالسلاح والمتخمة بالمال .

واسرائيل نفسها ، يزداد خطرها على السلام العالمى وضوحا ، ويزداد دورها الاستعمارى التخريبى ، واجتراؤها على معتقدات الأمم والشعوب انكشافا .

أضف الى هذا كله أن القوة الباطشة مهما كان نصيبها من الثروة والسلاح والنفوذ السياسى فانها تحمل أسباب خيبتها وفشلها ، ما دامت معادية للحق والتقدم ، لاسيما اذا كان للحق أنصار متسمون بالشجاعة وقادرون على تنظيم أنفسهم وعلى عرض قضيتهم عرضا حسنا ، والبذل فى سبيلها والصمود وراءها .

الفصـل الثـانى

اسرائيل والعرب

أول اسم يظهر على صلة بالمشكلة اليهودية فى صورتها الحديثة ، هو اسم (موسى مونتفيورى) تاجر يهـودى ، ايطـالى ، لكنه ينزل عن جنسـيته هـذه ليصبح من رعايا بريطانيـا ، سوق المـال الكبرى ، ثم يتزوج من عائلة روتشيلد زعيمة الرأسمالية اليهودية · يثرى هذا التاجر ثراء فاحشا ، وليس فى هذا شىء غريب ، ثم يأتى الى مصر فى عهد محمد على ، ويقابله فى سنة ١٨٣٨ بعد أن زار فلسطين فى السنة السابقة ، ليعرض عليه مالا كثيرا فى سبيل أن يسمح له بشراء أراض فى فلسطين ليقيم عليها مستعمرات يهودية ، وتقوم الحرب بين محمد على والبـاب العالى وتطرد جيوش مصر من سوريا وفلسطين ، فيتحول مونتفيورى الى الباب العالى ويفاوضه فى نفس الصفقة ·

ويموت مونتفيورى وقد بلغ المائة ، فى سنة ١٨٨٥ ، فيتلاه منه اللواء الصحفى النمساوى (تيودور هرتزل) فيصدر رسالته المشهورة « الدولة اليهودية » سنة ١٨٩٦

التى ينعقـد بفضلهـا أول مؤتمر صـهيونى فى (بال) بسويسرا سنة ١٨٩٧ ·

ويسعى (هرتزل) الى مقابلة السلطان عبد الحميد ، سلطان تركيا ، وتتم المقابلة فى سنة ١٩٠١ أو فى سنة ١٩٠٢ ويعرض (هرتزل) ـ كمـا سبق القول ـ على السلطان أن يضع النفوذ اليهودى السياسى فى خدمة السلطان، ليواجه به حمـلات أوربا الضارية ضـده فى صحافتها ، واشترط (عبد الحميد) شروطا سياسية عرضها (هرتزل) على بريطانيا فرفضت هذه الشروط وباءت المحاولة الثانية بالفشل ·

وشبت نيران الحرب العالمية الأولى ، فحلت للرأسمالية العالمية مشكلة فى موضـوع فلسطين ، ولكنها خلقت فى الوقت نفسه مشكلات ·

حلت الحرب العـالمية (حرب سـنة ١٤ ـ ١٩١٨) مشـكلة تركيا ، فقد أعلنت هذه الحـرب ضـد بريطانيا وحلفائها ، فى صف ألمانيا وحلفائها ، فتحررت السياسة البريطانية من القيود التى كانت تفرضها على نفسها بقصد حمـاية تركيا والابقاء عليها كسـد مانع فى وجه روسيا القيصرية من الزحف على الشرق الأوسط ، ومن الوصول الى البحر الأبيض المتوسط ·

ولكن كان لابد للقضاء على تركيا من اثارة العرب

ضدها ، ولكي يتحقق هذا للغرب لابد من القاء بعض الوعود المغرية ، للعرب ، ليجمعوا كلمتهم على محاربة دولة الخلافة الاسلامية ، وطعنها فى ظهرها ، فى وقت محنتها • كما لابد أن تتخذ هذه الوعود من استقلال البلاد العربية موضوعا لها • فكيف يتم التوفيق بين هذا الاستقلال وبين ما انتوت الاستعمارية العالمية انفاذه ، وهو انشاء دولة لليهود فى جانب حيوى من هذه البلاد ذاتها ؟ ثم كيف تنسق الدول الاستعمارية بين مطامعها الخاصة فى هذه البلاد ذاتها ؟ فقد كانت مطامع بريطانيا لاتقنع بأقل من أن تحتوى البلاد العربية شرقى القناة ، من فلسطين جنوبا الى الموصل شمالا، وكانت فرنسا تعتبر نفسها حامية الكاثوليكية فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، الى الحد الذى أرسلت معه أسطولا فى سنة ١٨٦٠ الى بيروت ، أنزل جيشا فرنسيا احتل لبنان لمدة تسعة أشهر لحماية الموارنة من المذابح الطائفية الدينية التي كانت تنشب هناك بين الحين والحين • وعلى أساس من هذه الحماية المزعومة كانت فرنسا تطالب بأن تمنح البلاد الواقعة غربى دمشق وحمص وحلب وحماة • وكانت روسيا ، وقد أصبحت فى الحرب العالمية الأولى حليفة لبريطانيا وفرنسا ، تمنى نفسها بأن تقتطع من هذا الجانب بين العالم شريحة تكون بمثابة موضوع قدم لها تتوسع بعده فى الشرق الأوسط ، حينما تأذن الظروف • وقد كان لها سنة فى ادعائها هذا أنها بدورها حامية الأرثوذكسية باعتبارها أكبر دولة تدين بهذا المذهب فى العالم •

ولما كانت ذمة الحرب تتسع لكل وعد ، ولا تقف طويلا أمام ما يقوم بين الوعود المختلفة فى الشأن الواحد من تعارض وتناقض بأمل أن ينسى فى السلم ، ما قيل فى الحرب ، فللحرب عقلية تخالف عقلية السلم ، ومن يتفاوضون باسم الدول فى أثناء القتال قد يسقطون عن مراكزهم بسبب هذا القتال ذاته ، فلا تتاح لهم فرصة التحدث باسم شعوبهم ، والتذكير بما نالوه من وعود لها ، بعد أن تضع الحرب أوزارها ـ من أجل ذلك كله حررت معاهدة خلال سنة ١٩١٦ عرفت باسم عاقديها البريطانى والفرنسى (سايكس ـ بيكو) اتفقت فيها بريطانيا وفرنسا وروسيا على توزيع الشرق العربى فيما بينهم ـ وبقيت سرا حتى سقطت روسيا القيصرية ، فأعلنت جميع المعاهدات السرية التى ارتبطت بها حكومة القياصرة ٠

هذا كله يريك كيف كان واضحا للرأسمالية العالمية أن هذا الشرق العربى ميدان لأطماع عنيفة ، وأن ضرورات الحرب التى تستدعى مغازلة القومية العربية واستثارتها ودفعها الى الأمام لمجرد تحقيق هدف حربى مؤقت وهو طعن تركيا ، ستصبح عنصرا خطرا ومقلقا لو تركت بعد الحرب تنمو نموها الطبيعى ، حاشدة كل قواها ، مستعينة بموقعها وبمواردها ، وبتراثها الأدبى والروحى العظيم ٠ ولذلك لم تتردد هذه الرأسمالية فى أن تتخذ من (أرض الميعاد) ومن حلم عودة اليهود الى كنعان وصهيون ، الأساس الذى تقيم فيه الحاجز الرئيسى فى وجه نمو القومية

العربية ، لتصطدم به اصطداما مستمرا يستنفد قدرا غير قليل من طاقتها ، ويمتص جزءا عظيما من حيويتها ، ويشتتها فتقع الفتنة بين أقطارها ، وتتسع الفرصة للاستعمارية العالمية أن تعبث بأصابعها القذرة فى أحشاء هذه القومية الوليدة .

تتابعت الخطوات بسرعة .. فاليهودية العالمية قررت - كما قلنا فى موضع سابق - أن تراهن أولا على الجواد البريطانى الفرنسى ، بعد أن انقسمت قليلا فيما بينها على الوجه الذى شرحه (حاييم وايزمان) فى كتابه (التجربة والخطأ) ، اذ كان من الصهيونيين من يرى ألمانيا أولى بالتأييد ، وبذلك أحق بالنصر فى المعركة العالمية ، باعتبار أن ألمانيا اذا ظفرت فى الحرب ستكون جوادا جديدا فى ميدان الاستعمار ، وللجدة دائما طموحها ، ثم ان الجواد غير المجرب سيكون أسلس قيادا فى يد السائس الخبيث الماكر ، أى فى يد الصهيونية العالمية وكبار مموليها .

ولكن الاستعمارية اليهودية ، رأت أن من خلف بريطانيا وعالمها الاستعمارى الفسيح الذى أقامته تلك الاستعمارية ذاتها بأموالها ، وأفكار زعمائها ، تقف الولايات المتحدة ، وهو جناح حافل بالاحتمالات ، التى تزيد قطعا عن احتمالات الامبراطورية الألمانية . فضلا عن أن بريطانيا والولايات المتحدة تؤمنان بالديمقراطية الليبرالية ، وهو مذهب تعيث فى ظله الرأسمالية اليهودية فسادا ، فتنفث سمومها الثقافية وتباشر نشاطها الذى يحلل الجماعات

والهيئات والأفراد ، ويهدم معتقداتها ويهيئها لتجرع جرعات ضخمة من المهلكات العقليـة ، التى تؤجج نيران الحـروب العالمية والداخلية •

صدرت الأوامر اذن لحكومة بريطانيا بأن تتبنى قضية وطن قومى لليهود ، وصيغ التصريح الخاص بانشاء هـذا الوطن فى عبارة يمكن أن تواجه جميع احتمالات المستقبل، وصدر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ على لسان اللورد بلفور الى اللورد جيمس روتشـيلد زعيم الرأسـمالية اليهـودية العالمية وقال فيه الوزير :

« يسرنى جدا أن أبعث اليكم باسم حكومة جلالة الملك بالتصريح التالى ، تصريح العطف على اقامة وطن قومى فى فلسطين ، وسوف تبذل أقصى جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغـــاية ، على أن يفهم جليا أنه لا يجوز عمـل شىء يضر بالحقوق المـدنية للطـوائف غير اليهـودية فى فلسطين ، ولا الحقوق ولا المركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى أى بلاد غيرها » •

ولابد لنا من وقفة هنـا ، لا لنحلل هــذا الوعد ، ولا لنثبت بطلانه ، فهذا موضوع قتل بحثا ، وقد تناوله كاتب هذه السطور ، مع مئات غيره من الكتاب فى الشرق والغرب وكان جزءا من كتابى « فى الشرق العربى » ، وفصلا فى كتاب « مع الانسان فى الحرب والسلام » ولكن ممايتسق مع هدف هذه الرسالة أن نقف وقفة لغاية أخرى •

فكثيرون فى بلادنا يعدون من قبيل المغالاة والتطوح مع العاطفة القول بأن الرأسمالية الاستعمارية اليهودية هى التى صنعت فكرة العودة الى فلسطين وفرضت وجودها هنا ، ويقولون فى اثبات هذه المغالاة ان الثابت أن اليهود لم يكفوا عن التعلق بحلم العودة الى فلسطين، ففكرة العودة كانت موجودة فى رءوس اليهود من قبل ، وان الرأسمالية الاستعمارية لم تخلقها من العدم ، وان بريطانيا وأمريكا وفرنسا لم تفعل أكثر من بذل العون السياسى والعسكرى والاقتصادى .

فى سنة ١٩١٧ كان العرب قد ارتموا فى أحضان بريطانيا ، التى بذلت وعودها الكاذبة لهم ، وعود الاستقلال البراقة ، ولم تكن لهم قيادة معترف بها ، فانفسحت الفرصة للشريف حسين ولولده فيصل أن يستأثرا بهذه الزعامة . ولما وضعت الحرب أوزارها ، لم يكن قد توافر للعرب شىء من مقومات وجودهم القومى أو السياسى : أحزاب متفرقة ، وبلاد أفقرها الاستعمار العثمانى وزادت من فقرها سنوات الحرب ، وكانت أكبر مجموعة عربية فى مصر لا تتذوق الفكرة العربية ولا تطمئن اليها ، اذ تراها مشوبه بالأطماع البريطانية ، وترى الداعين اليها عملاء لبريطانيا استخدمتهم لطعن تركيا ، التى كانت تحارب الانجليز ، الذين كانوا يحتلون مصر ويسومونها الخسف . أما عرب المغرب فلا صلة لهم بالمشرق ، يكابدون أهوال الاستعمار الفرنسى وحدهم.

ولكن السنوات التى تلت نهاية الحرب رفعت الغشاوات من فوق العيون ، غشاوة بعد غشاوة ، حتى أمكن العرب أن يروا بعضهم بعضا بعد طول التفرق والجفوة ، ولهذا كله لم تدخر بريطانيا وسعا فى مسابقة الزمن ، فقد كان كل وقت يمر قبل أن يتخذ وعد بلفور صفة سياسية دولية، هو كسب للقومية العربية التى قد تدهم الاستعمار قبل أن يتم بناء اسرائيل ، ويوقفها على قدميها حتى يثير اسباغ حماية القانون الدولى عليها ، فلا تتعرض لما تتعرض له المخالفات الدولية من الغاء ولما تتعرض له القواعد العسكرية من ازالة ٠

ومما يقطع بأن نية بريطانيا كانت قد انصرفت الى تهيئة أسباب قيام الوطن القومى اليهودى (اسرائيل) فى فلسطين ، أن معاهدة (سايكس – بيكو) أبرمت سنة ١٩١٦ ووعد بلفور صدر فى سنة ١٩١٧ أى أن المعاهدة سبقت الوعد ٠ وقد رافقت المعاهدة خرائط ، لونت فيها سوريا ولبنان باللون الأزرق (الفرنسى) ولون فيه العراق باللون الأحمر (البريطانى) بينما لونت فيه فلسطين باللون البنى (الدولى) (١) ٠

ففلسطين كان قد رتب لها شأن يخالف ما كان مقدرا لسوريا والعراق والأردن ٠ ما كادت جيوش الانجليز تدخل

---

(١) قضية فلسطين – محمد رفعت – ٢٧ ٠

الى فلسطين بقيادة اللورد اللنبى حتى عمدت حكومة الاحتلال البريطانى ثم حكومة الانتداب البريطانى بعد ذلك الى منح الجالية اليهودية فى فلسطين التى لم يبلغ عدد أفرادها حتى سنة ١٩٢٢ أكثر من ٨٤ ألفا ، كل مظاهر الدولة ٠

وكانت الخطوة الأولى ، بعد أن انتدبت بريطانيا لادارة فلسطين فى مؤتمر سان ريمو سنة ١٩٢٠ ، أن تقدمت لعصبة الأمم فى سنة ١٩٢٢ وطلبت قرار صك الانتداب ، ووضعت على رأس الصك تصريح بلفور ، ليكون فى اعتماد عصبة الأمم له ، واقرارها اياه ، ما يرتفع به من مجرد وعد بريطانى فى وقت الحرب الى زعيم يهودى ، الى مرتبة الوثيقة الدولية ٠

ولم تقتصر وثيقة الانتداب على مجرد ادماج تصريح بلفور فى مقدمتها ، بل جاء فى المادة الرابعة أن حكومه الانتداب تعترف بأحدى الوكالات اليهودية كهيئة عمومية يكون الغرض منها أن تنصح وتعاون الادارة بفلسطين فى كل ما له علاقة بانشاء الوطن القومى لليهود من المسائل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، وخولت المادة نفسها لهذه الهيئة أن تشترك وتتعاون مع الادارة فى النهوض بمرافق البلاد جميعا ، بل ان هذه المادة خولت الوكالة اليهودية حق التشاور مع حكومة جلالة الملك فى لندن مباشرة ٠

أما المادة السادسة فقد ألزمت الادارة البريطانية بتيسير هجرة اليهود وتشجيعهم ·

لم يكن للعرب الفلسطينيين مقابل ذلك هيئة سياسية تعترف بها وثيقة الانتداب ، تمثلهم ويحق لها أن تتصل بحكومة جلالة الملك ، ولا أن تعاون فى النهوض بمرافق البلاد ، وابداء الرأى فى سياسة الهجرة التى بدأت فى استحياء بسبعة آلاف مهاجر فى سنة ١٩٢٣ ارتفعت قليلا الى ١٢ ألفا فى سنة ١٩٢٤ ثم الى ٣٣ ألفا فى سنة ١٩٢٥ لتصل بعد ذلك الى خمسين ألفا بل ومائة ألف ·

ولو لم يكن النضج السياسى فى البلاد العربية فى السنين الأولى التالية لتوقف حرب سنة ١٩١٤ فى مراحله الأولى ، لاتضح لكل ذى عينين فى تلك البلاد أن صك الانتداب وحده نذير بأن دولة اسرائيل ستخلق فى فلسطين، وأن الجهود التى تبذل للحيلولة دون ذلك يجب أن تبدأ فى الحال وبلا امهال ·

ولكن الاستعمارية العالمية كما قلنا أحسنت اختيار الوقت لانشاء اسرائيل فقد ألهمتنا غريزتها التى تشبه غريزة الوحش الذى يشم رائحة الفريسة من بعد أميال وفراسخ ، أنها ان لم تبدأ فى نشب أظفارها فورا ، فان الفرصة ستفلت · ولكن البكاء على الماضى لا نفع منه ، وليس هو الغاية من هذه الرسالة ، وانما الغاية استخلاص عناصر

المشكلة كلهـا لمواجهة المستقبل باحتمالاته ولتبين الحاضر بحقائقه ٠

راح الموقف العربى يتدهور فى فلسطين من سيىء الى أسوأ ، فالهجرة اليهودية تزيد وتتسع ، وبعد أن كانت نسبة اليهود فى فلسطين فى سنة ١٩٢٢ الى سكانها جميعا ١٣٪ أى أقل من الخمس بكثير بل أقل من السـدس ، وصلوا الى الثلث تقريبـا فى سـنة ١٩٤٤ ، واستمرت زيادتهم بلا توقف حتى تجاوز تعدادهم نصف المليون عند صدور قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ٠

ولعل أكبر أسباب تدهور الموقف العربى فى فلسطين تدهور أسلوب العمل الوطنى فى البلاد العربية كافة ، فقد أسلمت الحركة الوطنيـة أنفاسها فى كل العالم العربى ، وأصبحت لونا مملا من مغازلة الدول الاستعمارية ، وخطب ودها فى شكل مفاوضات ، وقطع المفاوضات والتفكير فى استئنافها ، والعدول عن التفكير والوصول الى مشروعات معاهدات بأسماء مختلفة ورفضها ٠

ولو أن الوطن العربى وصـل الى مسـتوى المقاومة الحقيقية المسـتمرة لبريطانيا وفرنسا والتصـدى لهما ، لأفادت قضية فلسطين من ذلك الكثير ، داخل اطار المقاومة الوطنية العربية العام ٠

وكان تتويج هذا التدهور ، دخول الدول العربية

الحرب فى سنة ١٩٤٨ وهى دول خاضعة لبريطانيا ولنفوذ الولايات المتحدة ، وكل منها يضمر للآخر الحقد ، ويطوى صدره على الشك والارتياب ، وكل جيوشها يعوزها السلاح والتدريب والقيادة ٠

وكان باب المبادرة فى الحلبة الدولية مقفلا فى وجه الدبلوماسية العربية ، فقد كانت لا تدخل المعسكر الشرقى وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي فى حسابها ، فكان ما نعرفه من تفاصيل تقسيم فلسطين فى سنة ١٩٤٧ ، ثم قيام اسرائيل فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ٠

على أن التدهور الذى أصاب العمل العربى داخل فلسطين نفسها ، أصاب القضية الفلسطينية فى المجال الدولى ، وعلى وجه الخصوص أمام الأمم المتحدة ٠

لقد كان موقف الدول العربية فى سنة ١٩٤٧ واضحا ومنطقيا ومفهوما الى أبعد حد ٠ وكان أساس هذا الموقف أن الجمعية العامة للأمم المتحدة ، التى أحال اليها مجلس الأمن النزاع العربى الاسرائيلى ، لا تملك بمقتضى المادتين العاشرة والحادية عشرة من الميثاق ، ولا بمقتضى المادة الرابعة عشرة منه ، أن تفرض تقسيما على أهل بلد من البلاد ٠

فالمادة العاشرة تنص على أن للجمعية العامة أن تناقش أية مسألة أو أمر يدخل فى نطاق ميثاق الأمم المتحدة ، كما

أن لها أن توصى أعضاء الهيئة أو مجلس الأمن أو كليهما بما تراه فى تلك المسائل والأمور ٠

والمادة الحادية عشرة تنص على أن للجمعية العامة حق مناقشة أية مسـألة تكون لهـا صلة بحفظ السلم والأمن الدولى ، ولها أن تقدم توصياتها بصدد هذه المسائل للدولة أو الدول صاحبة الشأن أو لمجلس الأمن أو لكليهما ٠ أما المادة الرابعة عشرة فتنص على أن للجمعية العامة أن توصى باتخاذ التدابير لتسوية أى موقف أيا كان منشؤه تسوية سليمة متى رأت أن هذا الموقف قد يضر بالرفاهية العامة أو يعكر صفو العلاقات الودية ٠

وبداهة ليس فى هذه النصوص مطلقا ما يمكن أن يكون أساسا للاجـراء الجراحى الذى قامت به الجمعيـة العمومية للأمم المتحدة ، والذى شطرت به الجسم الواحـد شطرين ، وتركت ما أسفر عن هذا التدخل الجراحى الغاشم من نزيف دون أن تبالى ٠

ولقد كانت صرخة مندوب كوبا فى الجمعية العمومية ، عندما كانت بصدد التصويت على قرار التقسيم الذى صدر فعلا فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، أحسن تلخيص للموقف العربى من هذا القرار ٠ فقد قال مندوب كوبا :

« ان اصدار توصية بمقتضى المادتين العاشرة والحادية عشرة أمر مختلف كل الاختلاف عن تقرير خطة تؤثر فى

سلامة أراضي شعب ومركزه القانوني والسياسي . ان هذه ليست توصية ، اذ التوصية يجوز رفضها ، أما الخطة المعروضة فذات طابع الزامي واضح، أو يقضي أحد نصوصها بأن تعتبر أية محاولة لتغييرها تهديدا للسلم أو عملا عدوانيا تطبيقا للمادة التاسعة والثلاثين من الميثاق » .

ومعنى ذلك أن القرار الصادر بانشاء اسرائيل هو فى نظر العرب قرار باطل . فالأمم المتحدة تحل المشكلات الدولية ، بطرق سلمية ان استطاعت ، وتصدر قراراتها على أساس من ميثاقها الذى يلزمها بأن تتحرى مبدأ تقرير المصير وتلتزمه ، ولكنها لا تملك أن تنشىء دولة فى أرض اقليم يعيش على هذا الاقليم ، وعلى الرغم من ارادته ، فان اعترض عليه هددته باستعمال القوة ، فان استعمل القوة هذه غير الأمم المتحدة لتنفيذ هذه التوصية الباطلة أغمضت العين ، بل باركت هذا العمل فأسبغت عليه الشرعية ومساندتها ، وأقامت على أساسه حقوقا ، واعتبرت هذه الحقوق فى كفالة الأمم المتحدة والضمير العالمى .

ولم يبق الموقف فى الأمم المتحدة على بساطته حينما صدر قرار التقسيم ، اذ أن الهدنة أبرمت بين اسرائيل والدول العربية فى رودس بتاريخ ٢٩ فبراير سنة ١٩٤٩ ، ولكن اسرائيل لم تلتزم بها واستولت على النقب ، واستولت فيما استولت على موقع أم الرشراش الذى أقامت عليه ميناء ايلات .

فانظر كيف كان موقف العرب ضعيفا ومجانبا لموقفهم السليم الذى بدأوا به كفاحهم فى الأمم المتحدة ·

لم تعد الدول العربية تتحدث فى قليل أو كثير عن بطلان قرار التقسيم ، وبالتالى لم تتحدث عن بطلان قيام دولة اسرائيل وعدم جواز تمتعها بالعضوية ، وبالتالى لحقوق الأعضاء فى الأمم المتحدة ، وأعضاء المجتمع الدولى كافة ·

وقد يرى بعض الفقهاء والساسة فى الدول العربية ، وفى غيرها ، ان محاولة التحدث عن هذا البطلان وطلب صدور قرار به مستحيل عمليا ، لأن الدول قد أصبحت تعد وجود اسرائيل أمرا واقعا ، وأن المناقشة فيه سفسطة حقيرة لا تستأهل الاستماع اليها ، وقد تصرف عنا العطف ، ان لم تدخلنا فى حساب المهرجين · بل ان بعض هؤلاء يقولون ان الذين يضيقون بهذا الطلب ذرعا قد يفضلون عليه أن تمحو الدول العربية اسرائيل عسكريا ، وعندئذ يقفون مع الدول العربية باعتبار أن الفوز العسكرى ، من حقائق الحياة الدولية التى قد تستنكرها الأفواه ، ولكن تعمل على أساسها العقول ، أما الدفوع الشكلية ــ والبحوث القانونية ومناطحة الواقع ، بنظريات الكتب وبحوث الفقهاء ــ فأمر تأباه طبيعة الحياة الدولية ، لأن الحياة الدولية سياسة ، والسياسة حقائق ووقائع ·

وهذا الاعتراض غاية فى السخف ، لأن الدول العربية تتصرف على أساس عدم اعترافها باسرائيل ، وعلى أنها

قامت على العدوان ، وأنها قاعدة ورأس رمح للاستعمار ، فالواجب أن يتكامل موقفها ، وأن تصوغه دوليا الصياغة التى تتناسب معه وتزيده وضوحا .

ولا أحسب أن أحـــدا يجادل فى أن قرارات الأمم المتحدة هى قرارات سياسية ، وأن الجانب القانونى فيها ، ليس سوى المظهر الذى تصبفيه هذه القرارات السياسية. ولهــذا كان فشل الدول العربية فى سنة ١٩٤٧ فشــلا سياسيا ، مرده :

أولا ـ سيادة الولايات المتحدة على أعضاء هذه المنظمة، اذ لم يكن فى هؤلاء الأعضاء من يخرج على نفوذ الولايات المتحدة سوى المعسكر الشرقى الذى لم يزد أعضاؤه عن ثمانية من ٥٠ عضوا كانوا يشكلون المنظمة عند ميلادها .

ثانيا ـ كانت الجفوة أو تراخى الصــلة بين العــرب والاتحاد السوفيتى وسائر أعضاء المعسكر الشرقى عاملا مساعدا على هزيمة الدول العربية .

ولا شك أنه مما يكمل هذا الأسلوب الجديد فى تناول مشكلة فلسطين من جانبها السياسى ما أعلنته منظمة فتح من أنها ترحب بقيام دولة فلسطين المتعددة الأديان بلا تفرقة ولا تحيز .

وعلى ضوء هذين الاعتبارين يمكننا :

أولا ـ أن نذكر أن بناء الأمم المتحدة قد تعدل ، فقد

تدفقت الدول الآسيوية والافريقية اليها ، فغلب اللون الأسود والأصفر والأسمر على اللون الأبيض ٠

ثانيا ـ تغير بناء الحياة الدولية ، فمنذ مؤتمر باندونج فى ابريل سنة ١٩٥٤ نشأت منظمات كبيرة ، كمنظمة الدول الأفريقية والآسيوية ، والمنظمة الأفريقية ، كما توالت دول عدم الانحياز ، فضلا عن التطور العظيم الذى نشأ فى نطاق الحياة العربية ذاتها مما كشفت عنه أزمة سنة ١٩٦٧ ٠ فالرأى العام العربى ونفوذه ، وسرعة التحكم في موارد العرب وتوجيهها الى المعركة ، وخوف المعسكر الغربى من آثار صراعه مع العرب، كل هذه حقائق جديدة ، ذات وزن كبير فى تقدير ما يجب أن يتخذه العرب من أساليب لنضالهم الدبلوماسى والسياسى والعسكرى ٠

ولننظر الى ما جنيناه من هذا الموقف فى الحلبة الدولية : ان هذا لم يكسبنا عطفا ، ولم نبد لأحد فى ثوب العقلاء الذين يسلمون بالأمر الواقع ويسيرون فى هداه ، بل ان اسرائيل فى ظل هذا الموقف تزداد ضراوة ويزداد موقف الاستعمارية اليهودية العالمية افتياتا واجتراء ٠

لننظر من ناحية أخرى الى الفوائد التي نجنيها من اتخاذ الموقف الذى يلتزم الأساس الذى أقمنا عليه دفاعنا قبل صدور قرار التقسيم:

أولا ـ ان هذا الأساس متفق مع حقيقة الوضع الذى

خلقته الصـــهيونية فى فلســطين • فلا تصريح بلفور ، ولا الهجرة التى تمت فى ظل الانتداب البريطانى ، ولا شراء الأراضى من الفلاحين الفلسطينيين ، ولا المعونة التى كانت تتدفق على الوكالة اليهودية من الرأسمالية اليهودية ، تمنحهم حقا فى المطالبة بالســيادة على اقليم فلسطين ، ولا يمكن أن تحولهم الى دولة أو مشروع دولة •

وهذا ما يقضى به القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة والعرف الذى لا خلاف عليه •

ثانيا ـ أن ابراز قضية فلسطين فى هذه الصورة يبقى جوهرها طارقا للأذهان قارعا للآذان فى كل مناسبة، فلا تنسى أصول القضية ، ولا تدع فرصة لفرعياتها للتغلب عليها واخفائها • لقد اعتقد بعض الأعضاء الجدد ـ اما بحسن نية واما تأثرا بالدعاية الاستعمارية ومؤثراتها المفسدة ، أن مشكلة فلسطين لا تعدو أن تكون مشكلة لاجئين تركوا ديارهم فى حرب هزموا فيها • وهى مشكلة تافهة لاتستدعى تعكير السلام الدولى اذ لا توجد الآن بقعة فى العالم تخلو من مشكلة لاجئين •

وسيتيح هذا الأسلوب فى تناول القضية لمنـدوبى الدول العربية أن يبينوا فى كل مناسبة التناقض البين بين ميثاق الأمم المتحدة الذى يقوم على استنكار القوة ، كوسيلة لحل المشكلات ، وعلى احترام مبدأ تقرير المصير للشعوب وبين قيام اسرائيل المستند الى القوى •

ثالثا ـ سيمنع أيضا الأساس الذى اقترحه تراكم المضاعفات التى تنشأ من اصرار اسرائيل على تحدى ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها ، ومحاولتها أن تستخرج حقا جديدا لها فيبدو وكأنه فعلا حق جديد متفرع عن حق أصيل ٠

خذ مثلا ما نشأ من مخالفة اسرائيل لقرار الهدنة بالاستيلاء على منطقة النقب وموقع أم الرشراش الذى حولته الى ميناء (ايلات) ، فعلى الرغم من أن هذا غصب صارخ ، وتحد للأمم المتحدة ملىء بالاستهانة والاحتقار ، فقد نجحت فى تصوير ادعائها فى ثوب قانونى ، واستدرجتنا فعلا الى مناقشة هذا الادعاء فى هذا الثوب الزائف ٠

فايلات ليس ميناء اسرائيليا ، وانما هو موقع مغتصب ، والأصل أن ترفع عنه يد اسرائيل أولا ، لا أن تطلب اضفاء حماية دولية عليه ، لا باعتبار أن خليج العقبة هو خليج وطنى ، وأن لا حق لسفن الدول الأخرى أن تمر فيه ، اذ لا محل للحديث عن طبيعة خليج العقبة ، ولا عن طبيعة مضيق تيران ، لأن فى هذا الحديث تسليما ضمنيا بأن وجود اسرائيل فى النقب وفى ايلات هو وجود مشروع٠

فقضيتنا انحدرت من الاعتراض على وجود اسرائيل ذاته ، الى الاعتراض على وجود ميناء ايلات ، الى التسليم به ، والاحتجاج فقط بانعدام حق اسرائيل فى المرور فى خليج العقبة لأنه خليج وطنى ٠

ان اسرائيل فى ظل الحماية التى تمنحها اياها

الرأسمالية الاستعمارية العالمية ، تتبدى لعدد من الدول الأفريقية ، فى ثوب دولة ناشئة تبنى نفسها بنفسها ، وتحاول أن تحرر وجودها من ارهاب عربى ضار ، ومقاطعة عربية قاسية ، ولذلك لابد من أن تبدد هذه الصورة برد النزاع الى أصـله فى كل مرحـلة ، ولن نخسر من ذلك شيئا ، بل الراجح أننا سنكسب الكثير ٠ حسبنا أن تمزق هـذا السـتار الكثيف من الدخان الذى أطلقته اسرائيل سنوات طويلة على أصل المشكلة ، والذى يمكنها من أن تطلع كل يوم بأكذوبة جديدة ٠

ولا أدل على ضخامة أكاذيبها ، وعلى سرعة انطلاء هذه الأكاذيب ، على الرأى العـــالمى ، ما أرجفت به من أن اقتصادها سيختنق بسبب اغلاق الملاحة فى خليج العقبة ، مع أن الاحصائيات المذاعة تثبت أن اسرائيل لا تستورد عن طريق هـذا الميناء الا ٨٪ من صادراتها ، ولا تصـدر الا ١٢٪ ، ولم نسمع عن دولة تختنق اذا امتنعت عنها ٨٪ من وارداتها ، أو تعذر عليها تصدير ١٢٪ من صادراتها ، واذا كان هذا المقدار ضئيلا الى هذا الحد بالنسبة الى حجم تجارة اسرائيل ، فكم يكون ضئيلا الى حجم تجارة العالم التى تجاوزت ٢٦٨ مليارا من الجنيهات ، وكم كان يبـدو التهديد بعمل موحد ضـد الجمهورية العربية المتحـدة من جانب بريطانيا والولايات المتحدة ، عملا استفزازيا خاليا من كل ما يبرره ، لمجرد توفير هذه النسبة من تجارة دولة مطعون قانونا فى وجودها ٠

الفصل الثالث

العمل العربي في المجال الدولى

كان من الصعب على العرب أن يعملوا معا ، لا لحساب فلسطين ولا لحساب أية قضية أخرى ، لأن العمل السياسى فى العالم العربى كله ، كان غير ناضج ، وكان مبعثرا غير منظم ، مرتجلا غير مدروس ، تلقائيا عاطفيا ، يستجيب للأحداث فور الساعة ، ثم يفتر ويتقطع ، ويخمد ، وينتهى .

وعلى الرغم من اخلاص وصدق بعض الزعامات العربية ، فقد كانت هذه الزعامات ثمرة التطورات التى جاءت بهـا الأيام والأحداث ، لا سبب هذه التطورات ، ولا مصـدرا من مصادرها ، فضلا عن أن الكثير منها كانت تنقصـه الثقافة وسعة الأفق وصلابة الخلق ، فالبلاد العربية منذ بدا جهادها قبيل الحرب العالمية الأولى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، لم تنجب زعيما ندا للأحداث المحدقة بها ، الا اذا استثنينا الأمير عبد الكريم فقد كان بحق زعيما من أعلى طراز : قيادة ، وشجاعة ، وحنكة سياسية وعسكرية ، ولكن ميدانه كان في أقصى الغـرب ، فى ريف مراكش فى مواجهة أسبانيا .

دهمتنا مشكلة فلسطين ونحن على هذه الحال : عالما عربيا مبعثرا ، الزعامات فيه صغيرة تنقصها القدرة والقوة والصلابة ، ووحدة فكر تلم شتات نفسها ، وتجمع ماتناثر من أجزائها ، فى بطء وتكاسل ٠

وقد زاد من الصعوبات المصاحبة للمشكلة ، أنها تفاقمت فى وقت دخلت فيه ، فى حياة العرب وحياة الانسانية كلها ، عناصر سياسية لم يكن للعرب ولا للناس عهد بها ، فقد خرج الاتحاد السوفيتى ظافرا من الحرب العالمية الثانية ، وأصبح فى الحال قوة عالمية كبرى يحسب لها ألف حساب ، وقد كادت تنجح فى أن تساوى نفسها بالولايات المتحدة ، الزعيمة الجديدة للغرب ، وأن تضع كتفها بكتف هذه الزعيمة الفتية الناشئة ٠

ولم يكن الاتحاد السوفيتى مجرد دولة عظيمة كسبت الحرب ، بل كان عالما جديدا بأفكاره ، وأسلوبه ، وأهدافه٠ وكان على العرب أن يحاولوا أن يتبينوا طريقهم فى التعامل معه والتحدث اليه ، والانتفاع بوجوده ٠

ونشأت فى نفس الوقت ، الأمم المتحدة ، مولود حمل فى نفسه وبدنه آثار المجزرة على مدى خمس سنوات ، وقد كان دخول هذا المولود فى حلبة السياسة الدولية مضاعفة عقدت من مشكلة فلسطين ، وأتاحت للاسرائيليين والصهيونيين فرص عمل عظيمة ، لم يكن فى مقدور العرب

الذين عاشوا حياتهم فى حدود بلادهم أن ينافسوهم فيها ، أو يسابقوهم فى الانتفاع بها •

والى جانب هـذين العنصرين ، نشـأت مضاعفات جانبية ، فالاستعمار غير جلده ، فظهر فى ثوب آخر ، يمكن أن يخدع فريقا من الناس ، وان كانوا صادقين ذوى نية حسنة ، ويمكن أن يتخذ ذريعة مقبولة لفريق آخر ، صعبت عليه مواصلة القتال •

وفى الحالين كان التغيير الطارىء لشـكل الاستعمار ومظهـره يقتضى تغـيرا فى أساليب العـرب السـياسية والنضالية ، وكان هذا التغير فى حاجة الى بعض الوقت ، ليصبح مؤثرا وناجحا •

وخلال هذا الوقت ، انفجرت المشكلات الاجتماعية ، ومشكلات الحـكم ، لا فى البلاد العربية وحدها ، بل فى العالم قاطبة ، وكان كثير من هذه المشكلات محبوسا بفضل نجـاح الديموقراطية الحـرة (الليبرالية) وسيطرة دول الغرب على العـالم ، فلمـا بدأ الصراع بين الديمقراطيـة التقليدية والأنظمة الكلية ــ الفاشيستية والنازية ــ بدأ تكوين العـالم السـياسى وهيكله يهتز اهتزازا شديدا ، فأتيحت الفرصة لكثير من المشكلات المحبوسة أن تنطلق ، وكان لابد لهذا الانطلاق من تأثير على مجريات الأمور فى البلاد العربية ، وقد شاء سوء الطالع أن يحدث هـذا فى

الوقت الذى تبلغ فيه أزمة فلسطين ذروتها ، فكتب على العرب أن يحاربوا فى أكثر من ميدان فى وقت واحد ٠

كان عليهم أن يحاربوا الاستعمار الذى أخذ يهتز ، وأصبح الأمل فى التخلص منه عظيما ، وكان لأمريكا مصلحة ما فى أن يزول الاستعمار القديم لتحل محله ٠

وزادت استثمارات أمريكا فى المنطقة ، وزاد بالتالى نفوذها السياسى ، فأربك دخولها فى الشرق العربى السياسة العربية ، والزعماء العرب ، الذين ألفوا أن يكون هواهم اما مع انجلترا واما مع فرنسا ، وفى القليل النادر جدا ضدهما معا ٠

كل هذه العناصر الجديدة ، جعلت العالم العربى ، أشبه شىء بالحامل فى دور المخاض ، تحمل فى بطنها جنينا ، يغير من شكلها ، ويؤثر على أعصابها ويعكر صفو نومها ، ويعذبها بالقىء والصداع والقلق ٠٠ هذه الحامل ، كان مطلوبا منها مع آلام الحمل ، أن تعمل فى البيت من أول النهار ، حتى ما بعد الغروب ٠

نعم كان على العرب أن يكافحوا من أجل استقلالهم، وأن يكافحوا من أجل اصلاح شئونهم الداخلية أو الثورة على أوضاعهم الاقتصادية والسياسية ، المتخلفة عن عهد ما قبل الحرب العالمية الثانية ، وأن يخوضوا معارك المعسكرات المختلفة فى داخل الوطن العربى ، وأن يتأثروا بالضغوط الجديدة التى تمارسها الولايات المتحدة ، والمؤثرات

التى تشع من وجود الاتحاد السوفيتى ثم يواجهوا بعد ذلك والى جانب ذلك ، مشكلات ومتاعب الهجوم الصهيونى الاستعمارى فى فلسطين ، كبداية للزحف على المنطقة .

فهل استطاع العالم العربى ، أن يواجه هذا الزحف العنيف المدروس ، قويا متماسكا ، مخلصا مؤمنا ؟

الجواب على ذلك ، بلا ، نافية قاطعة .

وقد لا يكون موضع تفصيل (لا) هذه هنا .

ولننفذ الى لب موضوع البحث ، فنقول ان العمل العربى فى المجال الدولى له أساسا شعبتان :

الأولى ـ العمل السياسى .

والثانية ـ العمل الدعائى .

وهاتان الشعبتان ، وان اختلفتا مجالا ووسيلة ، وأسلوبا فهما متفقتان غاية وهدفا ، وتقومان حتما على أساس واحد .

والأساس المشترك للعمل العربى ، فى الحقلين ، السياسى والدعائى ، وحدة الجبهة ضد الاستعمار والصهيونية .

بعد أن فرغنا من بيان الأسس التى يجب أن يقوم عليها العمل العربى فى المجال الدولى ، أصبح من الواجب

أن نحدد العمل العربى ، الذى ننصح للدول العربية أن تقوم به ، ونحدد أسلوبه وطريقته ووسائله ٠

ولكن لابد من أن نقدم بين يدى هذا البحث ، بمقدمة صغيرة نسجل فيها :

أولا ـ ان الدعاية ليست كلاما يقال أو يكتب ، بل مواقف تقفها الدولة أو الدول الداعية وعناصر قوة تتمتع بها هذه الدول ٠

ثانيا ـ يجب أن نحدد بالضبط ما الذى نقصده من هذه الدعاية والى من نوجهها ٠

ونفصل القول فى هذين الموضوعين :

ما هى الدعاية ؟

نحن نخطىء خطأ جسيما حينما نتصور أننا قادرون على تغيير السـياسة الدولية أو تعويلها أو كسب الرأى العام فى الولايات المتحدة مثلا أو بريطانيا أو فرنسا اذا أنشأنا مكاتب دعاية تتولاها جامعة الدول العربية أو الدول العربية نفسها ، واذا كان أعضاء هذه المكاتب على قدر عال من الكفاية ، يحسنون لغـة الدولة التى أوفدوا اليهـا ، ويتمتعون بالنشاط والحيوية ، والفهم السياسى ، والخبرة الدبلوماسية ٠

لا شك أن مكاتب تضم أعضاء من هذا الطراز العالى

ـ الذى لا نحسب أن من السـهل الحصـول عليه دائما ، وبالقـدر المطلوب ـ قادر على أن يحقق من النتـائج أكثر مما تحققه مكاتب الجامعة العربية بوضعها الحالى ٠

ولكن النتيجـة النهائية ، ستكون واحـدة ، اذ أن الدعاية ليست مقالات جيدة تكتب ، وكتبـا رائعة تؤلف وتوزع ، واتصالات نشيطة يقوم بها الدعاة ٠ هى ليست هذا فقط ولكنها هذا ، والى جانب هذا ، أشياء أخرى ٠

فالدعاية ، هى قبل كل شيء وبعد كل شيء ، مكانة الدولة التى تقوم بالدعاية وما ينطوى عليه مركزها الدولى بين الأمم ٠

فألمانيا النازية ، لم يخلق مركزها قبل الحرب العالمية الثـانية (جبلز) الذى يعتبر أستاذ الدعاية الحـديثة ، بأسلوبها العصرى ، وطاقاتها الضخمة ٠

ان ما حققته ألمانيا في المجال الدولى ، بانتهاز فرص السياسة الدولية التى مكنتها من تسليح الراين ، واستعادة السار ، ثم ما طلعت به على الدنيا ، من سـلاح طيران ضخم ، هو الذى جعل دعاية (جبلز) شيئا مؤثرا ٠

ولنضرب المثل بأنفسـنا ، كانت (مصر) هزأة الصحافة العـالمية ، وموضع سخريتها فى أخريات عهـد الملك فاروق ، ولم يكن فى وسع أية دعاية أن تمسح عنـا الأذى الذى تلطخ به سمعتنا حملات الصحف ، ولم يكن

اسم بلادنا يذكر فى الصحف العالمية الجادة الكبيرة ، ولم يكن ينشر شيء عن حياتنا أو نشاطنا ، فلما قامت الثورة فى ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ ، نشرت أنباؤنا فى الصفحات الأولى ، واستأثرت بالعناوين الضخمة ، وبقيت مصر نبأ صحفيا هائلا ، وكانت أخبارها تعود لتقفز الى المقدمة ــ اذا ما تراجعت قليلا لفترة ــ عند كل حركة جديدة من حركات الدول المصرية الجديدة ، من مثل اسقاط الملكية ، أو عقد صفقة الأسلحة التشيكية أو الاعتراف بالصين الشعبية ، أو تأميم القناة .

فاذا أردنا أن نهيىء للقضية العربية جيشا جديدا من الدعاة ، واذا أردنا أن ننظم حملات مؤثرة ومثمرة لهذه القضية ، فان نقطة البدء فى هذه الحملات هى المظهر الجيد للدول العربية ذاتها ، ولوحدتها ، وهى أعمال عظيمة تتم فى المحيط العربى ، وهى دول عربية محترمة وجادة ، تحاول أن تقف من الدول التى تستثمر أموالها فى بلادنا موقفا حازما ، لا تفرط فى الحق ولا تقبل الدون من الأمور .

ثم علينا أن نفهم أيضا أن الدعاية هى متابعة نشيطة لما يجرى من الأحداث ، ومعالجة لتطورات العالم ، فمكتب الدعاية العربية يجب أن يكون لديه من التعليقات والأنباء ، عن كل ما يجرى فى العالم العربى ، ما يزود به أولا بأول وكالات الأنباء ، ومندوبى الصحف ، والباحثين عن الأخبار سابقا بذلك أعداءنا وخصومنا .

وأستطيع أن أذكر هنـا أن منـدوبى الصحف فى بلادنا ، كانوا يشكون من أنهم ما يكادون يسمعون عن حدث هام يقع فى محيطنا حتى يبادروا بقرع الأبواب التى يظنون أن وراءها الأنباء والتعليقات ، فيجدون هذه الأبواب مغلقة يوما ويومين فى وجوههم ، حتى اذا ما (برد) الحدث وفتر الاهتمام به وانصرفت الصحف فى أوربا وأمريكا عن التعليق عليه ، خرجت دوائر الأخبار الرسمية عندنا بما لديها من بيانات ، فلا يكون مصيرها الا سلة المهملات .

وقد أرانى صحفى أمريكى هدية هى طقم ثمين من العقيق يتكون من قرط وعقد ، تلقته زوجته هدية منا ، بمنـاسبة عيد ميلادها أو عيد زواجها ، وقال وعلى شفتيه ابتسامة سخرية : لقد قلت لفلان مئات المرات ، ان الهدية التى أنتظرها هى خبر ذو قيمة ، يفتح لى أبواب النجاح فى مهنتى ، ويزيد فى ثقة رؤسائى بى .. أما هذا (وأشار الى الطقم) فانى أستطيع أن أشتريه » .

وعنـدما وقعت غارة اسرائيليـة على قرية الصـبحة سمعت عددا من الصحفيين الأجانب يقولون : لقد طلبنـا تعليق الدوائر المصرية على هـذا الحادث ، وعن معلوماتها عنه ، يومين متلاحقين ، واليوم فقط ـ فى اليوم الرابع أو الخامس ـ يعطوننا كلاما لا نجد من يقرؤه فى أوربا وأمريكا ، فالقارىء هناك نسى حادثة الصبحة فقد جد بعدها الكثير .

وأسـتطيع أن أؤكد ان اقتراحا عـرض على مجلس

الجامعة العربية ، لمواجهة هذا التخلف المزرى لمكاتب دعايتنا
ـ داخل بلادنا وخارجها ـ وكان قوام هذا الاقتراح أن يدعو
وزير الخارجيــة فى كل دولة عربية ممثلى الدول العربيــة
الأخرى الى اجتمــاع دورى ـ شهرى أو نصف شهرى ـ
ليتداولوا فى جميع أحداث الفترة السابقة على الاجتماع
والمتصلة بقضايا العرب ، وما عساه يكون لدى أى منهم من
أخبار ، أو ما طالع فى الصحف أو المجلات الأجنبية والمحلية
من تعليقات أو مقالات أو تحقيقات ، على أن يكتب عن هذا
الاجتماع الدورى ، تقرير يتضمن ما انتهى اليه المجتمعون
من توصيات ، وتوجيهات ، وما يثبت أن المجتمعين سمعوه
من الأنباء الجديدة الهامة أو التكهنات المثيرة ، أو الداعية
الى الاستعداد أو التهيؤ ٠ ويرسل هذا التقرير الى أمانة
الجامعة العربية ، ليكون زادا سياسيا لها ، وزادا لمكاتب
الدعاية التابعة لهــا ، على أن يعقــد سفراء وممثلو الدول
العربية فى عواصـــم العالم كلها ، شرقا وغربا اجتماعا
مماثلا ، ويرسلوا تقرير اجتماعهم الى أمانة الجامعة العربية
كذلك ، ثم يعقد وزير خارجية مصر ، مع الأمين العــام ،
وسفراء الدول العربية فى مصر اجتماعا دوريا لمناقشــة
جميع ما تضمنته تقــارير وزراء الخارجية مع السـفراء ،
والسفراء بعضهم مع بعض فى عواصـــم العــالم ويغربل
الاجتماع المعقود فى الجامعة العربية هذه التقارير ، ويخرج
منها بالحصيلة النهائية التى تكون مادة العمل ، وذخيرته فى
مكاتب الدعاية العربية للفترة اللاحقة ٠ وقد وافق مجلس

الجامعة على هذا الاقتراح بحماسة ثم حدث أن قابلت أحد وزراء الخارجية في عاصمة دولة عربية ، فسألته عما أثبته العمل عن مدى فائدة الاقتراح وسلامته ، فرأيته يسألنى فى دهشة : هل أصــدرت الجامعة قرارا كهذا ، ومتى ؟ فأدركت أن الحماسة التى قوبل بها الاقتراح كانت كالعادة حماسة بنت اللحظة ، وأن العمل فى ميدان الدعوة العربية لا يزال ارتجالا ، لا تهيأ له أسباب النجاح ، ولا تجمع له المادة التى تجعله ناجحا ومفيدا • واذا استرسلنا فى تصور أن الداعى هو رجل ذلق اللسان سريع البديهة ، نشيط ، كثير الحركة فان نصيب دعايتنا من النجاح ــ ان بقيت الحال كما هى ــ سيبقى هزيلا وتافها ، بل ان دعايتنا ستنقلب علينا ضررا وايذاء ، كما حدث فى أحيان كثيرة اذ حسبت علينا تصريحاتنا غير المسئولة وخطبنا التى تشبه الطبل الأجوف •

ولابد أن نعرف ما الذى نقصده ونبغيه بدعايتنا ؟ هل نبغى بالدعاية فى الولايات المتحــدة مثلا ، أن نحــول زعماء الحزبين الديموقراطى والجمهورى عن تأييدهم المسرف لاسرائيل ؟ هل نبغى التأثير على أمثال روكفلر وجولد ووتر وجافتس وجولدبرج ؟ أم هــل نطمع فى منافسة جريدة واســعة النفــوذ (كالنيــويورك تيمز) أو مجــلة كمجلة (تايم) ؟

اذا كان هذا يساورنا فنحن عابثون ، والأولى بنا أن

ندرك أن هـذا مطمع سخيف . فدوائر المـال والحـكومة والصحافة الممالئة للصهيونية لا تقف هذا الموقف الممالىء عن هوى ، ولا عن عاطفة ، ولا عن عطف ، بل لوحـدة المصلحة بينها وبين الصهيونية ، لأنها تنتمى الى أحد عنصرى هذه الجبهة جبهة الاستعمار الصهيونى ؛ أو الصهيونية الاستعمارية ؛ وهى التى تصل بفروعها الى كل دولة من دول الغرب ؛ والصلة بين جذع هذه الجبهة فى الولايات المتحدة وفروعها فى العواصم الأوربية هى كالصلة بين جذع الشجرة وفروعها .

ولا يصح لنا أن نبكى لتسلط الصهيونية على أجهزة النشر والصحافة والفنون فى الولايات المتحدة فان هـذا التسلط هو العرض ، وليس المرض ، أو هو المظهر وليس الجوهر ، فالجوهر هو أن أهداف الصـهيونية ، وأهداف دوائر الحكم والمال فى الولايات المتحدة هى أهداف واحدة ، فلو زالت أجهـزة الاعلام الخاضعة للصـهيونية أو المملوكة لليهود ، لمـا تغير الحال كثيرا ، لأن السلطة فى الولايات المتحدة هى فى أيدى الدوائر التى تملك هذه الأجهزة الآن، وسياسة هذه الدوائر هى السياسة التى ترى أن اسرائيل ضرورة من ضرورات حياتها ، ولا يمكن أن تستغنى عنها .

فاذا كان الأمر كذلك فهل ننفض أيدينا من الدعاية فى الولايات المتحدة مثلا ؟

أعود فأقول ـ توطئة للاجابة على هذا السؤال ـ ان الدعاية وحدها لا تخلق شيئا ، وأنه بمقدار ما نحققه من

القوة والتقدم لأنفسنا فى أوطاننا تكون دعايتنا ناجحة وفعالة ، فالدعاية وحدها لن تؤثر فى الرأى العـــام فى الولايات المتحـدة ولا فى دوائر الحـكم فيها ، الممالئة أو المحايدة ·

خذ مثلا موقف الاتحاد السوفيتى من الدول العربية قبل ثورة ١٩٥٢ وبعدها : ان تأييده لنا ووقوفه معنا ، لم تحققه دعاية ، وما كانت أية دعاية غنية وقوية قادرة على احداث هذا التغيير ، انما التغيير حدث بسبب ما طرأ على سياستنا وعلى مركزنا ·

فاذا استطعنا أن نتخـذ مواقف متسمة بالقوة فى الداخل وفى المجال الدولى معا أصبح لدعايتنا أمل فى أن تحقق لنفسها نجاحا ، وأن تستميل الأذهان وأن تستوقف الآذان ·

وعندها يجب أن نحدد نطاق عملنا فأولا : لا يجب أن نعلق أهمية خاصة على مدينة نيويورك التى تجتمع فيها أكبر جالية يهودية فى العـــالم · فعلى الرغم من أهميـــة نيويورك الميناء ، ونيويورك الولاية ، فان الولايات المتحدة ليست هى نيويورك سواء كانت المدينة أو الولاية ، ففى الولايات المتحـدة خمسون ولاية ، وهى مليئة بالجامعات والأساتذة والطلاب والصـحف المحلية والجمعيـات الأدبية والدينية من كل اتجاه ومنزع ·

فاذا كانت نيويورك هى قلعـة الصهيونية ، فنحن نستطيع أن نلتف حولها لمحاصرتها .

ثانيا : يجب أن ندرك أننا لم نستعد بعد الى أقصى حـد ممكن بأبنـاء البلاد العربية المتوطنين فى الولايات المتحـدة ، الذين أكتسـبوا جنسـيتها والذين لا يزالون يحتفظون بجنسيتهم الأصلية، فعددهم غير قليل، واتصالهم بالمجتمع الأمريكى أفرادا وجماعات ، وببعض ذوى النفوذ من رجال المال والتجارة والصحافة ، يفتح أبوابا للدعاية العربية ، ويهيىء فرصا لعقد اتصـالات بين ممثلى الدول العربية ودعاتها ، وليس ثمة أفعل فى ميدان الدعاية من الصـلات الشخصية الهـادئة ، التى تتم بين الداعى وبين أفراد المجتمع الذى تتم فيـه الدعـوة ، خصـوصا مع الشخصيات البعيدة عن السياسة ، والتى تملك ذلك تأثيرا عميقـا فى المجتمع ، كرجال الدين ، وأساتذة الجامعـات ومدرسى المدارس الثـانوية والمربين ، والمهتمين بشـئون الشرق العربى ، وبالدراسات الدينية .

ولكن هذه الصلات لاتثمر اذا كانت متقطعة ، فالدعاية المثمرة هى الدعاية المستمرة التى تضيف أرباح الأمس الى أرباح الغد ، والتى تواصل زحفها ويتسع نطاقها كالدوائر التى يسببها القاء حجر فى الماء ، الثانية تأتى بعـد الأولى والثالثة بعد الثانية وكل منا أوسع قطرا من سابقتها .

ثالثا : أننا لم نستفد كما يجب حتى اليوم بالمبعوثين

العرب في أمريكا وأوربا ، وهم عدد هائل من الشبان والشابات الذين أتم بعضهم دراسته العليا والذين جاء البعض الآخر ليتلقى العلم فى الجامعات والمعاهد العليا ، فهم بطبيعة الحال من الناجحين ، الذين يعرفون كيف يعبرون عن أنفسهم والذين يعرفون قضايا بلادهم الى حد لابأس به ، فلو نظموا وجندوا جيدا وتولت مكاتب الدعاية الاشراف عليهم وتزويدهم بالمعلومات والكتيبات والملصقات والصور والكتب المصورة ، والأفلام لعرضها فى الحفلات العائلية ، والحفلات المدرسية ، لحققنا نجاحا باهرا ٠ فان المحيط العائلى والجامعى الذى يعيش فيه هؤلاء الطلاب يهيىء لهم فرصا لا تقدر بمال ، يعقدون بفضلها صلات مع عائلات كثيرة ، ويمكنهم لو أخذوا على عاتقهم هذا الواجب الوطنى أن يوسعوا هذه الصلات التى تتم فى هدوء ، وبعيدا عن أضواء المجالات السياسية ، وأن ينشئوا صداقات ومودات مع شخصيات ذات نفوذ ، وهيئات تلعب دورا فى الحياة الأمريكية والأوربية ٠ وكما تحدثنا عن عنصر الاستمرار والمثابرة ونحن فى صدد الكلام عن الجاليات العربية فى الغرب ، يجب أن نؤكد أهمية هذا العنصر هنا أيضا ، اذ أن الصلات التى تعقد فى سنة ، اذا تركت ولم نوالها بالرعاية تذبل ، وتضيع علينا ، مع أن رقابتها ، كما ترعى الشجرة ، تعطينا كما تفعل الشجرة ورودا وبذورا ، أما الورود فانها ستكون عنوانا على نجاحنا ، والنجاح يؤدى الى نجاح ، وتكون اعلانا طيبا على حسن استقبال الناس

للدعوى العربية ، أما البذور فستلقى فى الأرض ، لتخرج لنا أشجارا جديدة ، وهكذا .

رابعا : أننا لم ننظم صلاتنا بأبناء الدول المرتبطة بنا عاطفيا وسياسيا ، فأبنـــاء الدول الاســلامية والافريقيــة والآسيوية الاشتراكية المنبثين فى أمريكا وأوروبا يجب أن يضمهم مع زعماء المبعوثين العرب مؤتمر ، لننسق معهم العمل الدعائى ، ولنزودهم بمواد الدعاية بمختلف أنواعها من كتب ونشرات ، الى صور وخرائط ، وهكذا . وهؤلاء الشبان بدورهم قادرون على أن يصلونا بعائلات وبشخصيات وبهيئات ، ويمكنهم أن يتحدثوا فى مؤتمرات الجامعات ، والجمعيات التى ينشئها ويكونها طلاب هذه الجامعات لدراسة الشئون السياسية .

خامسا : يجب أن نبحث عن العنـــاصر المعــادية للصهيونية حتى ولو كانت هيئــات وجمعيــات يهودية ، وبعض الهيئات اليهودية المعــادية للصهيونية فى أوربا ، وأمريكا ، قادر على أن يخدم قضيتنا بأحسن وأفضل مما نستطيع نحن . فمن أعضاء هذه الهيئات شخصيات أدبية ذات أهمية ، وبعضهم من ذوى النفوذ السياسى أو المالى .

ففى فرنسا مثلا الطلبة المعادون للصهيونية وجمعية حقوق الانسان ، واليهود غير الصــهيونيين ، وسياسيون فرنسيون وكتاب أمثال ماكسيم رودنسون (اليهــودى) وايمانويل راشيه وأندريه فيليب ، يقفون ضد اسرائيل .

وليس ضروريا أن يقفوا معنا أو أن يعتنقوا كل أفكارنا ، أو أن يؤمنوا مثلنا بأن الوجود الاسرائيلى فى فلسطين فى صورة دولة مفروضة ، ليس تحد لمصالح العرب المشروعة فحسب ، بل هو ضد ميثاق الأمم المتحدة ، وليس قهرا لأهل فلسطين فحسب ، بل قهرا لمبادىء السلام ، وليس تحديا لآمال شعب عاش آلاف السنين على أرض وطنه ، بل تحديا لمقدسات الشعوب كلها والمعتقدات التى توارثتها البشرية ، جيلا بعد جيل ، والتى باركتها الأديان ودعاة الحـرية ٠

ليس ضروريا أن يذهب هؤلاء الى ما نذهب اليه ، ولكن يكفى أن يرفعوا صوتهم معنا ضد اسرائيل بصـورة من الصور ، فاننا فى حاجة الى تجميع كل الأصوات وتعبئة كل القوى ٠

سادسا : يجب أن نعقد صلاتنا بزعماء المعارضة ، داخل الأحزاب الحاكمة وخارجها ، فان كثيرين من الساسة المعارضين تعوزهم البيانات والمعلومات والحقائق التى تمكنهم من شن حملات على سياسة حكومتهم ، لا حبا فينا بل رغبة فى احراج خصومهم ، فلو كانت لنا صلات بهؤلاء المعارضين لفتحنا أبوابا كانت مغلقة أمامنا ٠

وقد يكون بعض هـؤلاء المعـارضين مع اسرائيل فى الجملة ، ولكن قد يختلفون مع سياسة بلادهم بشأن اسرائيل وما يجرى فى الشرق العربى ، فى نقطة أو نقط ، وعلينا

أن نقنع بهذا القليل ولا نزهد فيه ، أو نغض من قدره ، فالقليل اليوم قد يصبح كثيرا غدا ٠

ومرة أخرى أؤكد أن الدعاية ليست كلاما يكتب أو يلقى ، وليست هي فقط اعداد نشرات ومصورات وكتب ، فهى أولا وقبل كل شيء اتصالات تعقد وتنمو وتنسق ، ويفضى القديم منها الى الجديد ، والضعيف الى ماهو أقوى ، ويبدأ بأنصاف الأصدقاء الكاملين ، وبالمترددين الى الثابتين المؤمنين بعدالة قضيتنا ٠

سابعا : بقى أن نتكلم عن مادة الدعاية وأدواتها ٠

والواقع أننى أخرت الحديث فى هذه النقطة لأنى مشفق من تناولها ، فهى فى الواقع فى حاجة الى حديث جد طويل ومفصل ٠

ولكن لا بأس هنا من أن نجعل القول فيها ، حتى يكمل الحديث عن العمل العربى فى المجال الدولى ٠

وفى هذا الصدد ـ صدد مادة الدعاية العربية وأدواتها ـ يجب أن نعترف أن أيدينا صفر مما يمكن أن يعتبر مادة جيدة ، وأداة مثمرة فى هذا المجال الخطير الذى نواجه فيه أعداء تضم صفوفهم مئات ومئات من الكتاب والصحفيين والأدباء والمشتغلين بالنشر والمتصلين بكل الأجهزة التى تصنع الأفكار وتوزعها على الجماهير فى أوسع نطاق ٠

ويستطيع الانسان اذا أراد أن يكتب قائمة بالكتب والنشرات وموضوعات الأفلام المطلوبة ـ بصفة أساسية ـ أن يذكر على الأقل خمسين موضوعا ـ ينبغى البدء بها ، على أن تكون هذه الكتب والنشرات والأفلام موجودة بكميات كافية فى مخزن كل مكتب دعاية ، سواء كان هذا المكتب تابعا لدولة من الدول العربية أو للجامعة العربية ، ولنذكر على سبيل المثال بعض هذه الموضوعات ـ ونكتفى بذكر الأمثلة القليلة ـ لمجرد بيان الموضوعات التى يجب أن تدور عليها ـ بصفة أساسية ـ نشراتنا ، فمن ذلك :

١ ـ فلسطين وعلاقة العرب واليهود بأرضها قبل وبعد الفتح العربى منذ أربعة عشر قرنا .

٢ ـ الهجرة اليهودية الى فلسطين قبل تصريح بلفور سنة ١٩١٧ .

٣ ـ كيف كان اليهود يعيشون فى البلاد العربية تصريح بلفور وبعده ـ بيان عن المراكز الاقتصادية الهامة التى كانوا يشغلونها ، وازدهار جالياتهم وطمأنينة العيش التى كانوا ينعمون بها .

٤ ـ مذابح اليهود واضطهادهم فى أوربا ـ الحركة المعادية للسامية حركة أوربية لا حركة شرقية ولا عربية .

٥ ـ قرار التقسيم تحد لميثاق الأمم المتحدة ولمبدأ تقرير المصير أساس الميثاق .

٦ ـ خطر قيام اسرائيل على السلام العالمى ، ارتباطها بالحركة الاستعمارية ، ميولها التوسعية ، حتمية توسعها لتعيش .

٧ ـ لماذا عارض زعماء اليهود الحركة الصهيونية ، دراسة تاريخية لميلاد الحركة الصهيونية منذ سنة ١٨٩٦. حتى ميلاد اسرائيل فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨ .

٨ ـ اللاجئون الفلسطينيون ، كيف يعيشون .

٩ ـ اسرائيل تتحدى قرارات الأمم المتحدة وقرارات لجان الهدنة ، وتصطدم بمراقبيها .

١٠ ـ ميناء ايلات ليس ميناء اسرائيليا ، دراسة اقتصادية وتاريخية لدور هذا الميناء بقصد بيان عدم اعتماد الاقتصاد الاسرائيلى عليه .

ومن ناحية أخرى يجب أن تتوافر كتب ونشرات تتناول جانبا آخر من مشكلة فلسطين واسرائيل .

١ ـ المرأة العربية ، حقوقها فى الاسلام ، ودورها الحديث ـ مزود بالصور .

٢ ـ مدارس البنات فى البلاد العربية ، والبنت العربية فى الجامعة ، الفتاة العربية طبيبة وعالمة وباحثة ومحامية ومهندسة ... الخ .

٣ ـ الصناعة فى البلاد العربية .

٤ ـ التعليم فى البلاد العربية ـ تاريخ واحصائيات ٠

٥ ـ الأجانب فى البلاد العربية ، الجريمة فى البلاد العربية ـ دراسة مقارنة بين عدد ونوع وطبيعة الجرائم فى البلاد العربية وغيرها من بلاد أوربا وأمريكا ٠

٦ ـ العرب يخدمون الحضارة الحديثة ٠

٧ ـ العرب ينشئون الحضارة الحديثة ٠

٨ ـ البترول العربى ٠

٩ ـ احتمالات التنمية الاقتصادية فى البلاد العربية ٠

١٠ ـ السياحة فى البلاد العربية ـ الجبال الخضراء ، والصحراء ، والأنهار ، والغابات ، والأثار الفرعونية ، واليونانية ، والقبطية ، والاسلامية ، مقدسات اليهود والمسيحيين والمسلمين ٠

١١ ـ المساجد فى البلاد العربية ـ دراسة معمارية وفنية ٠

١٢ ـ الكنائس فى البلاد العربية ٠

١٣ ـ مصر أرض موسى وعيسى والأزهر ٠

١٤ ـ ولايات متحدة عربية ، دولة جديدة تزيد مساحتها عن مساحة الاتحاد السوفيتى والصين والولايات المتحدة ٠

١٥ ـ الاحتمـــالات الاقتصـــادية للدول العربيـة الاتحادية ٠

والموضـوع الواحد من الموضـوعات التى ذكرناها ينطوى فى واقع الأمر على موضوعات عديدة ٠ والموضوع الواحد ، يجب أن يكتب بعـدة أساليب فبعضها يكتب بالأسلوب العلمى ، وبعضها بالأسلوب الصحفى وبعضها يعتمد على الصور والجـداول فقط ومنهـا الموجز ، ومنهـا المفصل الى آخر هذه التفصيلات التى لا يتسع لها مجال القول هنا ٠

تاسعا : يجب أن يستعان بالكتب التى وضعها كتاب أوربيون وأمريكيون معادون أو معارضون لقيام اسرائيل وللحركة الصهيونية ، ككتاب ليلينتال (ثمن اسرائيل) ، و (الهدنة الشائكة) لهتشنسون ، ومحاضرات توينبى ، وغيرهم ، وغيرهم ، والأسلوب الأفضل فى الانتفاع بهـذه الكتب هو شراء كميات كبيرة منها وارسالها ببطاقة المؤلف الى أساتذة الجامعـــات ، والصحفيين ووزارات الخارجيـة والسفارات ورجال المال والبنوك والصناعة ، فليس أفعل فى ميدان الدعاية من صدور هذه الدعاية عن غير أصحاب القضـــية ٠

عاشرا : وأخيرا ، ان مشكلة فلسطين ، ليست قضية حكومات ، انما هى قضية شعب ، ولم تنجح قضية شعب، بغير متطوعين من أهل هذا الشعب ، يعملون لها ويموتون

فى سبيلها ، لا يتقيدون بحكومة ، ولا يلتزمون قواعد الدول فى ادارتها وأعمالها · قد تساعدهم دولة أو دول ، ولكنهم آخر الأمر يعملون بوحى من أنفسهم ، ولحساب ايمانهم الخاص · وانى أفتش عن هؤلاء الدعاة المتطوعين من أهل فلسطين ومن أهل الدول العربية المنبثين فى عواصم الغرب والشرق الذين يقاومون الصهيونية كما قاوم مصطفى كامل الاحتلال البريطانى ، فراح يذرع أوربا ، ويخطب هنا وهناك ، ويكتب ويؤلف ويخرج الصحف ، ويعقد المؤتمرات الصحفية ، وينشىء الصداقات والعلاقات والمودات ، فلا أجد أحدا ، وقد انقضى بعد مصطفى كامل أكثر من قرن ، وتقدمت وسائل النشر ، وتيسرت سبل الانتقال ، وقامت منابر دولية ·

ولذلك كان لابد أن يكون للقضية الفلسطينية مائة مصطفى كامل ، ليس حتما أن يكونوا فى مستوى كفايته ، وجلده ، ومثابرته ، ولكن أن يكونوا صورة أخرى منه ، أقل حماسة أو أقل كفاية ، ولكنها تقرب منه وتشبهه · ولا شك أن أقسى ما عانت منه قضية فلسطين أن القدر لم يجد عليها بمصطفى كامل ، وأن الدعاة الذين يعملون لها يعملون لها فى داخل البلاد العربية ، فهم يؤلفون الكتب باللغة العربية، ويثبتون للعرب أن اسرائيل خطر، ويثبتون للعرب أن اسرائيل معتدية ، ويحاولون اقناع العرب أن اسرائيل ستتوسع على حساب البلاد العربية ـ كأن العرب

هم الذين أقاموا اسرائيل ، الا اذا كان قصد توجيه الدعاية للعرب، وللعرب وحدهم، أن العرب هم المسئولون الحقيقيون عن نشوء اسرائيل بسبب تخاذلهم ، وانعدام وحدتهم ، وانعدام اخلاصهم ، وكثرة كلامهم ، وقلة عملهم ٠

وبمقدار حاجة القضية الفلسطينية الى مقاتلين من أهل فلسطين فى داخل اسرائيل نفسها وفى اسرائيل قبل احتلال الضفة الغربية وغزة نحو ٣٠٠ ألف فلسطينى ، كانوا يستطيعون أن يدبروا حركة سرية تحت الأرض ، تؤرق حكومة اسرائيل ، وتجعل نهارها سوادا حالكا ، وتجعل ليلها جحيما متقدا ـ بقدر حاجة فلسطين الى حركة مقاومة سرية داخلية ، تحتاج الى دعاة من أهلها ، يعملون بوحى من أنفسهم ، ولا يتبعون دولة ، ولا تقيدهم صفاتهم الرسمية ٠ ولذلك كان لنا أن نتفاءل اذ نسمع كل يوم عن حركات مقاومة داخل المناطق المحتلة ، نرجو أن تكون بداية الشرارة الحقيقية المأمولة ، وأن تكون هذه الشرارة مطلع النور فى داخل اسرائيل وخارجها ، فان هذا الطراز من النور ، هو الذى سارت الأمم فى هديه الى غايتها المنشودة من الحرية والمتعة ٠

الفصل الرابع

مزالق فى الطريق

تحدثنا عن الخطوط العامة للعمل العربى فى المجال الدولى . وكان حديثنا بطبيعة الحال موجزا يتفق وحجم هذه الرسالة الصغيرة ، ولكن يبقى بعد هذه الخطوط العامة ، بعض أفكار تبدو أنها فى المرتبة الثانية من الأهمية ، وقد يكون هذا بالفعل نصيبها من الأهمية ، ولكنها تبقى بعد ذلك ذات قدر من الخطر يقتضى النظر فيهـا ، والتعليق عليها . وسنعالج هذه الأفكار بكلمات قصيرة .

أولا ـ جامعة الدول العربية :

فى ٢٢ من مارس سـنة ١٩٤٥ وقعت سـبع دول عربية هى : جمهورية سوريا ، وامارة شرق الأردن ، ومملكة العراق ـ والمملكة السـعودية ، والجمهورية اللبنانية ، والمملكة المصرية ، والمملكة اليمنيـة ميثـاق جامعة الدول العربية ، وكانت مصر قد دعت فى منتصف شهر أغسطس سنة١٩٤٣ كلا من سوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية والعراق واليمن وشرق الأردن الى ايفاد مندوبين عنها لتبادل الآراء فى موضوع الوحـدة العربية ، وقد انتهت هـذه

المشاورات فى أوائل شهر نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، ثم عادت الحكومة المصرية فدعت فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٥ مندوبى الدول التى اشتركت فى المشاورات الأولى الى اجتماع فى شكل لجنة تحضيرية لمؤتمر عربى عام ، وكان الغرض من هذا الاجتماع « تسجيل المسائل التى كانت موضوع الاتفاق فى مرحلة المشاورات وتقريب وجهات النظر فى المسائل الأخرى » .

وعقدت اللجنـــة ثمانى جلسات من يوم الاثنين ٢٥ سبتمبر سـنة ١٩٤٤ الى يوم السبت ١٧ اكتوبر سنة ١٩٤٤ ، وقد نجحت هذه اللجنة فى وضع ما عرف فى تاريخ الجامعة ببروتوكول الاسكندرية .

وقد أقرت ست دول هذا (البروتوكول) وارجأت اثنتان التوقيع عليه ، وهما السعودية واليمن ، وقد وقعتا على ذلك البروتوكول فى ٣ من يناير سنة ١٩٤٥ و ٥ من فبراير سنة ١٩٤٥ على التوالى .

وقد نص فى البروتوكول على تأليف لجنة فرعية من أعضـاء اللجنة التحضيرية لاعداد مشروع نظام (مجلس الجامعة) ولبحث المسائل السـياسية التى يمكن ابرام اتفاقات فيها بين الدول العربية .

وقد عقدت اللجنة التحضيرية بوزارة الخارجية فى مصر ستة عشر اجتماعا وكان آخرها فى يوم ٣ من مارس سنة ١٩٤٥ .

وأهم ما فى ميثاق جامعة الدول العربية ، المتضمن عشرين مادة ، ما جاء فى المادة الأولى والثانية والثالثة والسابعة :

أما المادة الأولى فتنص على أن جامعة الدول العربية تتكون من الدول العربية المستقلة الموقعة على الميثاق ٠

أما المادة الثانية فتنص على أن الغرض من الجامعة هو توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها ٠

أما المادة الثالثة فتنص على أنه يكون للجامعة مجلس يتألف من ممثلى الدول المشتركة فيها ويكون لكل منها صوت واحد مهما يكن عدد ممثليها .

أما المادة السابعة فتنص على ان ما يقرره مجلس الجامعة بالاجماع يكون ملزما لجميع الدول المشتركة فى الجامعة ، وما يقرره المجلس بالأكثرية يكون ملزما لمن يقبله ٠

ولسنا نورد هذه الحقائق بقصد دراسة نظام الجامعة، وبيان ما فى هذا النظام من عيوب يجب اصلاحها ، أو عناصر قوة يجب تأكيدها ، بل القصد من هذه الحقائق أن يعرف القارىء شيئا أوليا عن تاريخ هذه الجامعة ، وعن أدوار تأليفها ، وعن المبادىء الأساسية فى ميثاقها ، لأن

نناول هذه الامور يكاد لا يقع فيما ينشر عن الجامعة الآن حتى أصبحت صورتها فى ذهن القارىء العربى غامضة ٠ ولما كانت هذه الرسالة تهدف أول ما تهدف الى ازالة الضباب المحدق بمشكلة اسرائيل ، فقد تعين أن نذكر هذا القليل عن تاريخ الجامعة وميثاقها ٠

وهذا القليل يكشف بجلاء أن الجامعة نظام مهلهل ، وأنها بحكم تكوينها لا يمكن أن تكون أداة فعالة ٠ وقد شاءت الظروف أن يكون ميلاد الجامعة معاصرا لتفاقم أزمة الصهيونية فى الشرق العربى ، وتضخم قوتها ، واصرارها على أن تبقى فى المنطقة التى اختارتها من هذا الشرق ، لتصاحب التطور العربى ، ثم لافساد هذا التطور، وتعويقه، وتبديد كل طاقات التقدم والتغيير والازالة ، واعادة بناء المجتمع العربى ، على أسس أكثر صحة وأوفر سلامة ٠

ولقد كنت من المعارضين منذ اللحظة الأولى لفكرة انشاء جامعة للدول العربية ، وكان سند هذه المقاومة ثلاثة أمور :

أولا : الظروف التى نشأت فيها فكرة الجامعة ٠

ثانيا : تجربة البرلمان المصرى فى مصر المحتلة بعد سنة ١٩٢٤ ٠

ثالثا : السوابق التاريخية ٠

أما الظروف التاريخية التى لابست نشوء فكرة جامعة الدول العربية فتجمل فى أن الأزمات كانت تتوالى

فى جميع دول الشرق العـربى ، بسبب ارتفـــاع الموجة التجريبية فى هذه الدول واصرار الاستعمار على التثبت بمواقعه فى هذه المنطقة الحيوية ، لذلك كان لابد للاستعمار أن يحـول اتجاه الضـغط من الالتفـاف حـــول مواقعه الاستعمارية ، الى أهداف أخرى ، وقد هدت الحيلة هــذا الاستعمار الخبيث الى فكرة انشــاء نظــام رسمى لاتحــاد العــرب ، فأعلن ايدن وزير خارجية بريطانيــا ارتيــاحه لتحقيق هذه الفكرة وعطفه عليها ·

وكانت حجة المؤيدين لانشاء الجامعة ان عطف بريطانيا عليها لايمنع من الاقدام على تنفيذها ، اذ ليس يكفى أن يكون للعدو مطمح فى شىء حتى يصبح هذا الشىء منكرا ، بل علينا أن نحول السلاح الموجه الى صدورنا ، الى صدر العدو ، بدلا من أن نلعن السلاح نفسه ، ونحرم أنفسنا منه · وكانت نفوس بعض الأبرياء تطمئن الى هذه الحجة وترتضيها ، اذ يغيب عنها أن الأجهزة الرسمية لا تخلق اتحادا من العدم ، بل الاتحاد هو الذى يخلق النظام ، وان الأمم أو الأفراد المختلفين اذا اجتمعوا يزيد الاجتماع أسباب الخلف بينهم ويبرزها ويضاعف منها ·

وقد كان المجتمع السياسى العربى ابان نشوء فكرة انشاء الجامعة ، والمشاورات التى سبقتها ، موزعا بين ثلاثة معسكرات : معسكر تتزعمه مصر ، وآخر تتزعمه العراق ، وثالث تتزعمه السعودية ، التى تتحالف غالبا مع مصر ، وان بقيت طول الوقت معسكرا قائما بذاته ·

وقد كانت بريطانيا من خلف هذه المعسكرات جميعا، تشد خيوط الرجال والدول ، وتبذر بذور الفتنة وتجني ثمارها ، وتضرب هذا بذاك ، وبناء الجامعة يهتز اهتزازا عنيفا ولا يتساقط ، لأن الارادة البريطانية تريد له البقاء ، ولأن الساسة العرب الذين كانوا يلعبون دورهم المكرر المجوج على مسرح السياسة العربية ، يجدون فى الجامعة أضواء أكثر سطوعا ، وفرصة للرجل السياسى أكبر وأعظم.

ولقد صاحبت التجربة كوارث فلسطين الواحدة بعد الأخرى ، وكأنها خلقت لتقبل هذه الكوارث ، والنوح عليها، والادعاء الفارغ ، والابراق الأجوف ، حتى أصبحت رسالة الجامعة وكل ما يتصل بها سخرية الساخرين .

اما تجربة البرلمان المصرى فوجه الشبه بينه وبين الجامعة العربية ، هو أن البعض كان يعتقد أن صدور دستور سنة ١٩٢٣ فى ١٩ ابريل من تلك السنة خطوة فى طريق التحرير ، وكسب للحركة الوطنية ، وكان رأى الوطنيين أن البرلمان المصرى عظمة ألقيت للأحزاب المصرية ، لتتناحر عليها ، وأن البرلمان لن يكون أداة فى يد الحركة الوطنية ، لأن هذه الحركة كانت قد فقدت قوتها الدافعة فى سنة ١٩٢٢ ، واستحالت حربا أهلية ، وقد تحقق ما توقعه المتشائمون ، وأصبحت قذائف المصريين توجه الى المصريين، دون أن تصيب منها واحدة ولو على سبيل الخطأ الاستعمارى والاحتلال البريطانى ، الذى اتخذ من البرلمان المصرى وحله،

والدعوة الى انتخابات فمفاوضات فبرلمان ، فحل البرلمان ، فانتخابات فمفاوضات وهكذا دواليك ، اتخذ من هذه الدائرة المفرغة وسيلة مضمونة لتبديد قوة المقاومة الوطنية، وصرفها عن طلب الجلاء وعن اعداد مقاومة له ناجعة ، وحركة سرية وعلنية لاعلان الحرب عليه • وكان هذا المثل جديرا بأن يتعلم منه العرب ، وأن يدعو الحركة العربية نحو الوحدة ، تتقدم وتتطور فى مجالها الشعبى ، بعيدا عن القوالب الرسمية ، التى تخنق أقوى الأرواح الداعية الى الوحدة الصحيحة •

أما الأمثلة التاريخية فكثيرة ، وكلها تدل على أن الاتحادات المهلهلة ، تضر ولا تنفع ، ولدينا مثلان مشهوران، مثل اتحاد الولايات المتحدة سنة ١٧٧٧ ومثل اتحاد الولايات الألمانية •

أما مثل اتحاد الولايات المتحدة ، فندع دافيد كوشمان كويل يحدثنا عنه فى كتابه « نظام الولايات المتحدة السياسى وكيف يعمل » قال :

على أن الحكومة الاتحادية التى أقيمت بمقتضى (الاتحاد الفيدرالى) كانت ضعيفة الاختصاص ، عديمة التماسك ، مما كان يجعلها عاجزة عن العمل • على أن تلك الأوضاع كانت أقصى ما أمكن جمع كلمة الولايات عليه فى ذلك الوقت •

وقد أدى العمل بمواد الاتحاد الفيدرالى الى كارثة

حلت سريعا • فالعملة الاتحــادية تضخمت حتى أصبحت عديمة القيمة ، وذهبت في الهوان مضرب الأمثال • وانخفض التبادل التجارى بين الولايات الى المستوى الأدنى •• الخ •

أما المثل الثــانى ، فهو اتحاد الدول الجرمانية الذى اســتمر من ســنة ١٨١٥ الى ١٨٦٦ ووقعت مواثيقه فى ٩ نوفمبر ١٨١٥ وضم النمسا وخمس ملكيات فى مقدمتها بروسيا وبافاريا ودوقيات وامارات ومدن حرة • وكان الغرض من هذا الاتحاد هو نفس الغرض الذى قامت جامعة الدول العربيــة لتحقيق أى توثيق الروابط بين الدول المشتركة والدفاع عن سلامتها ضد أى اعتداء أجنبى • وقد كان هذا الاتحاد شبحا ، ومن سخرية التاريخ به أنه انحل بسبب اعتداء احدى الدول المنضمة اليه وهى بروسيا على زعيمة الاتحاد نفسه وهى النمسا ، وبدلا من أن تتدخل الدول الأعضاء الأخرى فى النزاع لفضه ، أو تأييد احدى الدولتين ضد الأخرى ، تركت بروسيا تهزم النمسا هزيمة منكرة ، وتفرض زعامتها على الاتحاد ، وتحوله الى مايشبه الدولة الموحدة ، بعد طرد النمسا منه نهائيا •

وجملة القول أن جامعة الدول العربية ، لم تكن هى الأداة التى تعين العرب فى هذه المرحلة الشائكة التى تريد نظاما مغــايرا تماما • ولا ينفع فى هــذا الشأن أن نقرر ـ وبحق ـ أن الجامعة ليست الا صدى العمــل المشــترك للأعضاء المكونين لها ، اذ لسنا فى صدد توزيع المسئوليات،

ولا تبين المخطىء من المجنى عليه ، وانما يجب أن نعلن أن جميع الأعمال الهامة فى المحيط العربى تتم بعيدا عن الجامعة وخارج مجالها ، وأن الجامعة فى معظم الأحوال لا تدعى حتى مجرد المشاركة فى النشاط السياسى العربى ·

ان الجامعة أثقلت بعدد من الموظفين ، منهم المغضوب عليه من حكومته ومنهم المطرود من وظائف هـذه الحكومة بسبب لايشرفه ، ومنهم المطلوب مجاملته وتدليله· والأكفاء من موظفى الجامعة ـ وفيها موظفون أكفاء ـ لايستطيعون أن يعملوا وحدهم ، ولو استطاعوا لا يتركون ليعملوا .

ولما كنا نريد أن نضع كل سلاح جيد فى أيدينا ، ونحن نحارب اسرائيل ، وأن نرهف الأسلحة الجيدة التى علاها الصـــدأ ، فلابد من أن نكون صادقين وأمنـاء مع أنفسنا ، وأن نعلن أنه يجب اعفاء الجامعة العربية من كل نشاط سياسى ، وأن نكل اليها تنسيق النشاط الثقـافى والاجتماعى والاقتصادى بالمؤتمرات والدراسات والندوات، واعداد الكتب واعادة نشر التراث العربى فى مختلف فروع المعرفة ، فان هذا العمل حيوى وخطير ، والنفع منه ، حتى للمعركة بمعناها الضيق ـ العسكرى والسياسى ـ أكبر من أن يغض من قدره ·

ثانيا ـ مشكلة الشرق الأوسط :

ان الحرب بيننا وبين اسرائيل ، هى فى الدرجة الأولى، حرب بين ثقـافتين : هى حرب بين الثقـافة الاســـلامية

والمسيحية الشرقية ، من جهة ، والثقافة الاسرائيلية والمسيحية الغربية من جهة أخرى ، اى بين ثقافة روحية عقلية خلقية ، وثقافة مادية مالية عسكرية . ولذلك كان للألفاظ ذات الدلالات الخاصة ، أهميتها الخاصة في هذه الحرب ، ذات الأهداف البعيدة وذات الأصول البعيدة أيضا .

ولقد حاول الاسرائيليون أن يطمسوا اسم فلسطين، وأن يمنعوا استعماله ، وقد نجحوا فترة طويلة فى ابعاد فلسطين والفلسطينيين عن المعركة ، حتى قامت حركة الفدائيين أخيرا لتعيد لاسم فلسطين مكانه اللائق به ، تاجا للمعركة ، وزادا لوقودها ، ومشعلا لفدائييها وسياسييها .

ومنذ قامت الحرب العالمية الثانية ، وبريطانيا وحلفاؤها مصممون على أن ينظروا الى البلاد العربية الواقعة شرق القناة مع تركيا وايران كوحدة واحدة ، أولا ليزيلوا الكيان العربى المستقل من الوجود وليذيبوه فى كيان أكبر منه ، وثانيا لينشئوا كيانا جديدا ـ غير كيان الشرق العربى ـ يمكن أن يكون لاسرائيل دور ومكان فيه ، وثالثا ـ ليألف العربى ، مزاملة وصحبة دولة غير عربية ، تستند أساسا فى نشاطها السياسى والعسكرى والاقتصادى الى دول الاستعمار الغربية .

لذلك يجب أن نفطن الى هذا كله ، فنسقط اصطلاح

(الشرق الأوسط) من قاموس اذاعتنا وصحافتنا ودراساتنا السياسية ، وبصفة خاصة يجب أن نصمم ونصر على تسمية المشكلة باسمها الحقيقى ، فالأزمة أزمة فلسطين ، وليست أزمة الشرق الأوسط ولا دخل للشرق الأوسط فيها ، ليبقى اسم فلسطين مدويا ومسموعا فى الآذان ، ومذكرا للذين قرروا انتهاك وجوده والعدوان عليه ٠

ثالثا ــ اعرف عدوك :

بدأنا بعقلية (اسرائيل المزعومة) وانتهينا بعقلية (اعرف عدوك) أى بدأنا بالافراط ، وانتهينا بالتفريط ٠

كانت عقلية (اسرائيل المزعومة) هى عقلية جهل ، وغرور ، وكسل ٠ لأنها عقلية من لايعرف شيئا مطلقا عن عدوه ، ومن يثق بقوته ثقة لا حد لها ، فى حين أنه لا أساس لهذه الثقة ٠

وقد كان واجبا أن نعدل عن هذه العقلية ، وأن نفيق من هذه الغفلة المطبقة ، وأن نحاول معرفة كل ما يدور فى اسرائيل ، وما يتصل بها ، وأن نقف على الصغيرة والكبيرة من نشاطها ، وأن نتبين نقط الضعف فى اقتصادها وماليتها، وبنائها السياسى الداخلى ٠ ولكن على أن تبقى اسرائيل فى هذه الدراسات والبحوث فى مكانها اللائق بها : كيانا غير مشروع ، وعدوانا علينا ، أريد اسباغ صفة الدولة عليه ، لتظفر هذه الدولة بحماية ــ لاتستحقها ــ هى حماية القانون الدولى ٠

لذلك فان كل ما من شـأنه أن ينشيء الألفـة بين الانســان العربى ، واسرائيل ووجودها ، هو اجراء ضار غاية الضرر . وبالتالى لا يجوز التوسع فى نشر التحقيقات الصـحفية المفصلة والدراسات الســياسية المستفيضة فى الجرائد اليومية ـ عما يجرى داخل اسرائيل مقرونا بصور زعمائها ، مع بيانات شاملة ومسهبة عن أحزابها ، وجماعاتها السـياسية ، وعما لكل حزب من مقاعد فى (الكنيست) البرلمان اليهودى ، ودراسة نتائج الانتخابات فى السـنين المتعاقبة . ولا شك أن الدعاية الاسرائيلية يسرها أن تمنح النشاط الاسرائيلى بأنواعه المختلفة ، هذه العناية ، وأن نلقى أضواء على زعمائها وشخصياتها الرئيســية وأحيانا الثـانوية .

واذا كان حقا أن معرفة العدو تفيد ، فان هذه المعرفة فرض كفاية ، يقوم به الزعمـاء الســياسيون والقـادة العسكريون وأساتذة الجامعات وطلاب الدراسات السياسية والصحفيون المتخصصون ، واذا جاز نشر شيء من هـذه المعرفة ، ففى المجالات المتخصصة التى يطلع عليها الذين سيكلفون بوضع الخطط وتعديلها والاشراف على تنفيذها . أما القارىء العادى الذى يجب أن يبقى محتفظا برفضه الظاهر والمضمر لوجـود اسرائيل ـ ولكرهه لهـا سرا وعـلانية ، فحسبه أن يعلم ـ ويصدق ـ كل ما يقع بيننا وبينها من معارك الحب والسياسة ، وأن يتابع الأنباء الدولية المتعلقة بهذه المعارك كسائر أنباء العالم ، وهو القدر الذى يعرفه

اى مواطن مثقف مستنير ، فى بلد متمدين عصرى — فى مثل الظروف التى تمر بها بلادنا .

واذا جاز للصحافة الغربية مثلا أن تنشر فى فترة حرب تقوم بين احدى الدول الغربية ودولة أخرى ، البحوث والتحقيقات عن الدولة المعادية وشخصياتها ، فان ذلك لا يجوز لصحافتنا ولا لوسائل النشر فى بلادنا بالنسبة لاسرائيل • ذلك لأن دول الغرب لا تقوم الحروب بينها على أساس انكار أى منها للوجود الشرعى للدولة الأخرى ، بعكس الحال فى اسرائيل ، فان أصل الخصومة بيننا وبينها أى شرعية اسرائيل فى ذاتها مرفوضة لا نسلم بها ، ولا نقرها • وهذا الرفض هو المبرر الروحى لرفضنا التفاوض مع اسرائيل مباشرة أو بالواسطة • وهو الموقف الذى يطير له صواب اسرائيل ، وتشن من أجل زحزحتنا عنه الحرب الضروس الحمقاء التى تواصلها الآن ضدنا ، والتى لن يكتب للأعداء فيها أى نصر •

رابعا — يهودى وصهيونى :

ينزلق بعضنا الى منزلق لا يتصل بطريق كفاحنا الواضح المستقيم ، الذى لا عوج فيه ، ذلك هو طريق « تحرير وطننا » • فنحن نحارب قوما اغتصبوا أرضنا ، واحتلوا وطننا ، واقتحموا علينا بلدنا • جاءوا من بعيد ، ليزيحوا اخواننا من دورهم ، وليحلوا أنفسهم محلهم ، فى قحة ساخرة ، ووقاحة مثيرة • وحق من اغتصب حقه ،

وانتهك عرضه ، أن يدفع عن نفسه وعرضه الاغتصاب والعدوان ، أيا كان المغتصب المعتدى •

فلو فرضنا أن اسرائيل أخلت مكانها فى بلادنا ، لأمة من المسيحيين بل لأمة من المسلمين ، لما تغير الموقف ، ولوجب أن نواصل الجهاد ـ لأن ، العدوان على المرء لايتغير وقعه ، ولا تتبدل طبيعته ، بتغير المغير المغازى • ولقد قاوم الغزو النازى الفاشستى أهل أوربا المحتلة ، وفى هؤلاء بروتستانت كالألمان فى هولندا والنرويج ، وفيهم كاثوليك فى فرنسا وبلجيكا ، وفيهم أرثوذكس فى يوغوسلافيا ، وفيهم مسلمون فى ألبانيا •

فما مبرر أن نعقد مقارنة بين اليهودى والصهيونى ، وفيم قول القائلين ان كل يهودى صهيونى ، وهو موقف قد يزيد من أعبائنا الدعائية بغير مقتضى ، ثم فيم قولنا اننا نحارب الصهيونية دون اليهودية وقد يعقد هذا الكلام بعض أمورنا ذلك لان السياسة والحرب ، تقتضى المقاتلين أن يغيروا ألوانهم ، ويبذلوا أسماءهم ، ويتنكروا أشكالا وصورا غير أشكالهم • فلنحارب الذين احتلوا أوطاننا ، ولنحارب من يساعدهم ، حتى ولو كان من العرب الذين يدخلون فى زمرة (دعاة الهزيمة) فنحن لا نتبرع بالعدوان ، ولا نبدأ به وانما نرده ، أقوياء واضحين ، على النهج الذى علمنا اياه ديننا ، وجرت عليه تقاليد الآباء والأجداد ـ فى الحرب والسلم • وهى أشرف تقاليد ، لا يزال العالم يستشرف نحوها ، ليصل اليها فلا يستطيع •

فهرس

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٠/٤١٩٨

ملتزم التوزيع

في الجمهورية العربية المتحدة وجميع انحاء العالم

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

مكتبات الشركة بالجمهورية العربية المتحدة

١ — فرع شريف	٣٣ شارع شريف	تليفون ٣٠١٠٣ القاهرة
٢ — فرع ٢٦ يوليو	١٨ شارع ٢٦ يوليو	٩٥٠٣٣ القاهرة
٣ — فرع ميدان عرابي	٥ ميدان عرابي	٤٦٣٨٣ القاهرة
٤ — فرع المبتديان	١٣ شارع محمد عز العرب	٥٤١٨٨ القاهرة
٥ — فرع الجمهورية	٢٢ شارع الجمهورية	٩١٠٠٢١ القاهرة
٦ — فرع المعادي	١١ شارع الجمهورية	٩١٤٣٣٣ القاهرة
٧ — فرع الحسين	ميدان الحسين	القاهرة
٨ — فرع الجيزة	١ ميدان الجيزة	٩٨٨٣٩٩ القاهرة
٩ — فرع أسوان	السوق السياحي	٢٩٣٠ أسوان
١٠ — فرع الإسكندرية	٤٩ شارع سعد زغلول	٢٠٠٢٥ الإسكندرية
١١ — فرع طنطا	ميدان الساعة	٢٥٩٤ طنطا
١٢ — فرع المنصورة	ميدان [illegible]	المنصورة
١٣ — فرع أسيوط	شارع الجمهورية	أسيوط

مراكز ووكلاء الشركة خارج الجمهورية العربية المتحدة

١ — مركز توزيع الجزائر	شارع بن مهيدي العربي [illegible]	الجزائر
٢ — مركز توزيع لبنان	شارع [illegible]	بيروت
٣ — مركز توزيع العراق	ميدان التحرير	بغداد
٤ — عبد الرحمن الكيلاني	شارع ٢٩ آيار — دمشق	سورية
٥ — الشركة العربية للتوزيع	ص ب رقم ١٢٢٩ جدة	السعودية
٦ — قاسم الرجب	مكتبة المثنى — بغداد	العراق
٧ — رضا العيسى	وكالة التوزيع — عمان	الأردن
٨ — عبد العزيز العيسى	دار التوزيع ص ب ١٣٧١	الكويت
٩ — وكالة المطبوعات	الكويت	الكويت
١٠ — مكتب الرعاية العربية	شارع عمرو بن العاص — بنغازي	بنغازي
١١ — محمد بشير الفرجاني	٥٥ شارع عمرو بن العاص	طرابلس
١٢ — الشركة الوطنية للتوزيع		تونس
١٣ — وكالة الأهرام	شارع الرشيد	عدن
١٤ — المكتبة الوطنية	[illegible] الخليج العربي	البحرين
١٥ — مكتبة العروبة	ص ب ٤٢ و ٦٤	الدوحة
١٦ — عبد الله حسن الرستماني	المكتبة الأهلية ص ب ٢٦١	دبي
١٧ — المكتبة الحديثة	ص ب ٢٧	مسقط
١٨ — أحمد سعيد حمدي	المكتبة الوطنية ص ب ٢٥	المكلا
١٩ — مكتبة دار العلم	شارع عبد المغني ميدان التحرير	صنعاء
٢٠ — علي ابراهيم شمر	ص ب ٥٠	أسمرة
٢١ — عبد الله قاسم الجزايري	ص ب ١٧١٤	أديس أبابا
٢٢ — مكتبة ستر	ص ب ٩٣٦	مقديشو
٢٣ — عبد الله هاشم محمد	ص ب ٤١٥	ممباسا
٢٤ — مكتب توزيع المطبوعات العربية	لندن	لندن
٢٥ — المكتب التجاري الشرقي	١٠ تي كينغ ص ب ٢٠٠٣	سنغافورة
٢٦ — مكتبة مصر		الخرطوم
٢٧ — مكتبة النصر		وادي مدني
٢٨ — وكي جرجس ططيوس	ص ب رقم ١٥٥	الخرطوم
٢٩ — ابراهيم عبد القيوم	مكتبة الفجر ص ب ١٨٠	بور سودان
٣٠ — عوض الله محمود دبورة	مكتبة دبورة ص ب ٢٤	عطبرة
٣١ — عيسى عبد الله	المكتبة الوطنية ص ب ٢٤٥	وادي مدني
٣٢ — مصطفى صالح	ص ب ٤٤	كوستي

أسعار البيع للجمهور في الدول العربية

سوريا ٥٥ قرش سوري — لبنان ٥٠ قرش لبناني — الأردن ٥٥ فلس — العراق ٥٠ فلس — الكويت ٧٥ فلس — السودان ٥٥ مليم — ليبيا ٥٠ مليم — قطر ٧٥ درهم — البحرين ٧٥ فلس — عدن ١٠٠ سنت — أديس أبابا ٥٥ سنت — أسمرة ٥٠ سنت — الجزائر ٥٥ سنتيم



فتحي رضوان

- اشتغل بالمحاماة والقانون ·
- للمؤلف نحو أربعين كتابا فى التراجم والقانون والمسرح والقصة القصيرة والطويلة ·
- من مؤلفاته :
  - مع الانسان من الحرب والسلام
  - عصر ورجال
  - فلسفة التشريع الاسلامى
  - الدول والدساتير
- ومن مسرحياته :
  - دموع ابليس التى ترجمت الى الفرنسية والاسبانية والأردية ·



Bibliotheca Alexandrina

المكتبة الثقافية

(جامعة حرة)

- خلاصة الفكر القومى والإنسانى
- تجعل المعرفة متعة تعمق الشعور بالحياة ، وسلاحا يساعد على الإنتصار فى معركة الحياة

يشرف على السلسلة

الدكتور شكرى محمد عياد